

محمد بن ناصر العُبُوي

مقال في
بلاد البنغال

الطبعة الاولى
١٤١٤هـ - ١٩٩٣م

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف



الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد : فهذه أوراق كتبتها في زيارة لمنطقة البنغال في شرق الهند وفي بنجلاديش .

وكننت في زيارة رسمية لجزر المالديف التي عدت منها إلى كولبو عاصمة سيلان أو (سيرلنكا) كما صارت تسمى الآن ، وقد كتبت كتابين عن رحلتي في مالديف وسيلان وكتبت هذا الكتيب عن رحلتي السريعة إلى بلاد البنغال .

وهي رحلة عاجلة لم نستغرق إلا أياماً معدودة ولذلك لم تكن الكتابة عنها شاملة موسعة ومع ذلك فقد وجدتي أسارع إلى مخاطبة القارئ الكريم وأنا أضعها بين يديه بأن الذي حملني على طباعتها هو أنها تتحدث في أكثر صفحاتها عن بلد مسلم شقيق هو (بنجلاديش) إضافة إلى المرور بالبنغال الغربي الهندي الذي عاصمته كلكتا .

وقد تعودت من قراء العربية الكرام أن يتقبلوا ما أكتبه عن البلدان الإسلامية أو عن الجماعات المسلمة بالإقبال بل والتشجيع ، لأن الحديث عن الإسلام والمسلمين أمر يهم الجميع .

أما ما عدا ذلك من الحديث عن رحلة في بلاد أو حديث عن أحوال بعض العباد ، فإنه إذا لم يكن من القول المعاد مما تقبل عليه عامة الناس في المعتاد وعلى الله الإعتماد ، نسأله تعالى أن يسلك بنا طريق الرشاد إنه كريم جواد .

المؤلف

محمد بن ناصر العبودي

مرور بالهند



موقع البنغال في الهند

يوم الأحد ١٠ محرم ١٣٩٩هـ الموافق ١٠ ديسمبر عام ١٩٧٨م

من كولمبو إلى مدراس :

كان حكومة مالديف قد أبرقت إلى السيد محمد حنيفة وزير النقل في سيلان بأن موعد وصولي إلى كولمبو سيكون في مساء السبت (أمس) وتطلب منه أن يحجز لي على الطائرة إلى مدراس ، كان ذلك منذ ٣ أيام أثناء زيارتي إلى مالديف .

وقد أمر السيد الوزير بالحجز لي إلى مدراس غير أنه لم يكن قد بقي كرسي خال في الطائرة ، ومع ذلك وعد المسئولون في الشركة أن يبذلوا جهدهم في تسهيل الحصول على مقعد لي في الطائرة ولذلك خرجنا من الفندق إلى المطار وكان الطريق يستغرق ثلاثة أرباع الساعة بالنظر إلى سرعة سائق السيارة ، والافان المتعارف عليه أن السرعة المعتادة من المطار إلى البلد هي ساعة كاملة .

وصلنا المطار في الساعة الرابعة والنصف عصراً وقد بقي على موعد قيام الطائرة ساعة ونصف وقد بذل الأخ المرافق (جمشيد عبد الجبار) جهداً كبيراً حتى أمكنه أن يحصل على مقعد وبينما كنت في القاعة التي تسمى (صالون الشرف) في المطار حضر إليّ ومعه المسئول عن شؤون إدارة المطار وقد جاء معه ليسلم ويتعرف على هذا الشخص الذي ربما كان الأخ جمشيد قد بالغ في رفع مقامه حتى يحصل على مساعدته في الحصول على مقعد في الطائرة .

وقدمه الأخ جمشيد قائلاً : إنه فلان مدير المطار وانه ساعدنا في الحصول لك على مقعد في الطائرة فاستحق الشكر من الجميع ، فشكرته على ذلك .

وقد تأخر قيام الطائرة إلى الساعة السابعة إلا ربعا ، وقبل قيامها بربع ساعة جاء أحد مسؤولي الشركة الهندية التي تتبعها الشركة وصحبني من قاعة كبار الزوار في المطار إلى أن اركبني في المقعد الأمامي من الطائرة قبل أن يأذن للآخرين بالخروج من قاعة المسافرين والصعود إلى الطائرة .

ومن المصادفات أنني بالأمس عندما كنت قادماً من مالديف إلى كولمبو ، كانت مضيفة أرضية (مالديفية) قد كلفها المسؤولون في الحكومة المالديفية العناية بي فصحبنتني إلى أن أجلسنتي في الكرسي الأمامي نفسه الذي أجلسني عليه اليوم

مندوب الشركة الهندية وذلك قبل أن تأذن للركاب الآخرين بالخروج من قاعة المسافرين والصعود إلى الطائرة .

ومن المصادفات أيضاً أن الطائرة هي الطائرة نفسها وطاقم المضيفات هو الذي كان فيها بالأمس لم يتغير ، وأن المسافة بين مالديف وكولمبو كانت ساعة واحدة وهي هي اليوم من (كولمبو) إلى (مدراس) ساعة واحدة .

أقلعت الطائرة الهندية في الساعة السابعة إلا ربعا مساءً وهي مزدحمة بالمسافرين وكان الطعام الذي قدموه اليوم أقل مقداراً ونوعاً من الطعام الذي قدموه بالأمس رغم ضالة ماقدموه أمس ولكن البخل غير مستنكر من هذه الشركة الهندية .

وكان الطيران كله ليلاً فلم استطع رؤية شيء مما حولي ، ولم يكن نظري يستقر على أولئك المضيفات الهنديات اللاتي ليس في خدمتهن ما يستوجب النظر .

في مطار مدراس :

وصلنا مطار مدراس بعد ساعة كاملة ، والتوقيت المحلي لمدينة مدراس هو نفسه توقيت كولمبو لأنهما على خط طولي واحد .
وكان الجو حاراً رطباً فيه .

وعندما وصلنا إلى قاعة القادمين في المطار وجدناها غير واسعة والناس يزدحمون فيها مما جعلها تضيق بهم وزاد الأمر سوءاً أن الموظفين المسؤولين عن أوراق الصحة وعن الجوازات كانوا يبطئون في إنجاز الختم على الجوازات حتى ضج الناس وملوا الانتظار في هذا الجو الحار الرطب ووسط جمهور لا يكاد يتزحزح عن مكانه .

وبعد لأي وطول انتظار ونفاد صبر وصلني الدور وإذا بالسبب الذي جعل الناس يتأخرون في الإنجاز أن الموظف يقوم بتعبئة البطاقات التي كان قد ملأها الركاب في الوجه الآخر على غير الطريقة التي جاءت في إفاداتهم التي كتبوها ووقعوا عليها وإنما يأخذ بسؤالهم والاستفسار منهم عن بعض الأشياء وهو يتردد في الإقدام على الكتابة والختم ولا أدري لماذا كان ذلك وسألني لماذا لم يذكر تاريخ

الميلاد في جوازك؟ فقلت له: لأن جواز سفري سياسي لا يذكر فيه إلا الاسم .
وكأنه لم يمر عليه جواز سفر سياسي أو جواز سفر خاص قبل ذلك .

وعندما أخذت حقبتني من مكانها في المطار واتجهت إلى المنصات التي عليها التفتيش بادرني ضابط وأوقفني قائلاً: انتظر فقلت له: لماذا؟ فقال: لكي ينتهي الذي قبلك ، فقلت له: إنني لم أتقدم من هم قبلي وإذا به قبل أن يسمع كلامي يذهب ويتخاصم معهم ويوقفهم حتى يصدر أمره بعد ذلك إليهم بأن يتقدموا وقد فعل فقد انتظرت حتى أصدر أمره ورأيتهم يعذبون الركاب ويشددون عليهم بالتفتيش حتى إنهم يفحصون داخل غلاف الحقيبة ويتحسسون ما في غطائها وأسفلها بعد أن يجردوها مما يمنعهم من ذلك فكرهت ذلك لا لكوني أحمل شيئاً من الممنوعات فليس لدي ما أخاف عليه وإنما لكوني لا أحب فتح الحقائب وإغلاقها في هذا المكان المزدحم ، وقد بادر موظف مسؤول عند ضابط التفتيش يحاول أن يحل حزام الحقيبة وثوقاً منه بأن جميع القادمين يخضعون للتفتيش الصعب فقلته له: انتظر حتى يأمرك الضابط بذلك .

ثم قلت للضابط : إن جوازي سياسي فهل ذلك يعفيني من فتح الحقائب؟ فنظر إليه ثم قال: نعم ورسم إشارة المرور عليها ، ولما أردت الانصراف قال لي: قف دقائق من فضلك ، فوقفت ولا أدري السبب في ذلك إلا أن موظفاً عاد من مكتب آخر ومعه بطاقة صغيرة صفراء أعطاني إياها وقال: تفضل .

وتبين لي بعد ذلك أن كل المسافرين لا يستطيعون أن يخرجوا حقائبهم من المطار إلا إذا أبرزوا مثل تلك البطاقة ولو كان على حقائبهم إشارة ضابط الجمر ك بأنها قد مرت عليه .

ومن ضابط الجمر ك انتقلت إلى موظف البنك الهندي لصرف بعض النقود فإذا به أكثر إبطاءً في إنجاز العمل من ضابط الجوازات وإذا به يتردد في ذلك ويدخل ويخرج ويدع الناس ينتظرون كل ذلك لكي يطمئن إلى أنه لم يغلط وليتأكد من كل شيء يفعله .

وعندما يعطي النقود للناس يعدها بيده قطعة قطعة وبصوت مرتفع حتى النقود الصغيرة التي مجموعها دون الروبية يعدها بيده عدداً ونقداً ، وذلك إلى بطئه هو

نفسه يستغرق وقتاً طويلاً لا يريد مثلي أن يذهب سدى لأنني محتاج إلى الراحة وإلى الوصول إلى الفندق قبل مضي قدر كبير من الليل.

وعندما أردت الخروج من الباب الرئيسي في مبنى المطار وجدته مغلقاً وتطوع بعض الأوروبيين وهم يضحكون في هدايتي إلى طريق آخر متعرج يمر بشخص يتأكد من كون الحقائق قد مرت على ضابط التفتيش.

وعند الباب الخارجي أمسك بامتعتي حمّال ضعيف البنية شديد السمرة وأهل مدراس ذوو سمرة شديدة وأجسام يظهر عليها عدم كمال التغذية وبخاصة إذ قورنوا بأهل البلدين الذين زرتهما في هذه الرحلة وهما مالديف وسيلان وقال الحمّال: أتريد سيارة أجرة؟ فقلت: لا إنما أريد حافلة، وكان بعض اخواني قد حذروني من أن سائقي سيارات الأجرة يستغلون الناس في الليل فتقدمني الحمال بين ممرات البناية إلى أن ظهر على مخرج آخر وإذا به مكان وصول المسافرين على الرحلات الداخلية ووضع حقيبتي في حافلة فسألني سائقها: إلى أين تذهب؟ فقلت إلى فندق (تاج محل) في مدراس، فهل أنتم تذهبون إليه؟ قال: نعم، قلت، متى تتحركون؟ فأجاب: بعد خمس دقائق وبعد خمس دقائق جاء إلى وقال: إننا سنتأخر في انتظار وصول رحلة داخلية لاحدى الطائرات تأخرت عن مواعدها.

فذهبت إلى إحدى سيارات الأجرة وبادرني سائقها قائلاً: تفضل: قلت إلى فندق تاج محل فكم تأخذ؟ قال خمس وعشرون روبية، قلت: لا بأس بشرط أن تذهب وتحضر حقائبي من الحافلة.

فأحضرها وركبت معه وليتني لم أركب فقد كان يسعل طول الطريق بشدة وبطريقة مؤلمة لنفس من يسمعه وكان الطريق الذي يبلغ طوله من المطار إلى الفندق عشرين كيلو متراً يعج بالحافلات التي تنفث دخان الديزل المؤذي إلا أنني اضطررت أن افتح نافذة السيارة وأن أخرج رأسي من السيارة ما استطعت فراراً من الهواء داخل السيارة الذي لوثة السائق بسعاله ونفاته.

في مدينة مدراس :

هذه هي الزيارة الثانية لمدينة مدراس وهي تأتي بعد أيام من الحركة المتواصلة في مالديف وسيلان لذلك عزمت أن أمنح نفسي اجازة صباح غد ولو كان ذلك لنصف يوم قبل انتهاء اليوم الذي حددته للبقاء في مدراس قبل السفر إلى كلكتا.

ولما كنت لست على يقين من أن أجد غرفة خالية في الفندق لأنه ليس لدى حجز مسبق فيه ، ولست على ثقة من سائق سيارة الأجرة لكي أدع حقائبي معه وأدخل وربما فر بها من السيارة وإن كان ذلك بعيداً ولكن الحذر والتوقي واجب فقد طلبت منه أن يدخل معي إلى إدارة الفندق كما هي عادتي في أكثر البلدان في الحالات المشابهة إذا كنت وحدي ولم يكن معي من يرافقني ويبقى عند الامتعة في السيارة ولكن السائق قال: إنني لا أستطيع أن افعل ذلك فقلت له: لا بد منه فأقبل معي ولكن بواب الفندق منعه من الدخول فقلت له: إن حقائبي معه، فقال البواب أنا أنزلها وأحفظها.

ونزلت في الفندق في غرفة تقرب من أن تكون من غرف فنادق الدرجة الأولى غير أن كل ما فيها هو من منسوجات الهند ولكن بعضها يصعب علينا استساغته من ناحية الذوق مثل الكراسي الخشبية التي يصعب تحريكها وزحزحتها، ومصابيح الاضاءة المغلفة بأغلفة كبيرة جدا من الزجاج والحبال وهي مدلاة في السقف تضرب رأس الذي لا يظن لها. إضافة إلى أن الغرفة تحتاج إلى ترميم.

وأجرة الليلة الواحدة مائتا روبية أي اثنان وثمانون ريالاً سعودياً.

يوم الاثنين ١١ محرم ١٣٩٩هـ ١١ ديسمبر عام ١٩٧٨م :

محاولة الحجز :

كان أهم ما شغلني هذا الصباح هو الحجز إلى مدينة كلكتا من مدراس فسألت في هذا الفندق الذي يفترض أن يكون فيه مكتب للسياحة والسفر عن الحجز فقال المكتب الوحيد فيه لهذا الأمر واسمه (توماس كوك) : إنه لا يمكن أن يحجز لك أحد إلا إذا ذهبت إلى مكتب شركة الطيران الهندية في مدراس على بعد ميلين اثنين من الفندق .

وركبت سيارة أجرة من الفندق فكانت تسير وتقف فعلت ذلك عدة مرات قبل أن تصل إلى مكتب الشركة واعتذر السائق وقال بخجل: إن هناك بعض الشيء في جهاز إحراق البنزين قال ذلك لأنها كانت تنبعث منها سحب من الدخان في كل مرة ، ولما وصلت قال: إنني سوف انتظر حتى اعود بك إلى الفندق ، فقلت له أخشى أن تتأخر عودتي إذ قد يبطئون في انجاز امري فقال: ولو تأخرت ،

واردت إن أنقذه أجره وأدعه ولكنه أبى وقال: إنني سوف انتظر ك وكفيني للذهاب والإياب والانتظار خمس عشرة روبية أي سبعة ريالات تقريباً ، فقلت: لا بأس . هذا مع العلم بأن لتر البنزين هنا يباع بثلاث روبيات ونصف فهو مرتفع ارتفاعاً قلّ أن يوجد له نظير في البلاد المجاورة .

ودخلت مكتب شركة الطيران الهندية فرأيت الزحام على أشده على المكاتب بل لا يمكن الوصول إلى الموظفين ورأيت جماعة من الأوروبيين جاؤا للمراجعة ، وقد اكفهرت وجوههم ، وظهرت عليها أمارات التعب إذ كيف يستطيع المرء الذي يريد أن ينهى عمله بهدوء في وسط هذا الزحام الصاخب الذي لا تسمع فيه إلا أصواتاً مرتفعة متلاصقة الكلمات لا تستطيع لسرعتها أن تميز ما إذا كان صاحبها راضياً أو غاضباً ومن المشكل أنهم يلفظون الانكليزية كما يلفظون لغتهم فيسرعون اسراعاً شديداً ، ويخرجون الحروف من غير مخارجها فيجد المستمع لهم عناء من تتبع مايقولونه .

فهم في هذا الأمر يصح أن يقال: إن الغالب على حركاتهم واعمالهم الإبطاء ماعدا شيئاً واحداً هو الكلام فهم يسرعون به إسراعاً ، ويهدونه هذا ، وقل أن تجد منهم من يتبسم وبخاصة في وقت العمل فهم جميعاً عابسون ، وإذا أراد المراجع أن يستفهم منهم غضبوا على عادة بعض البلاد الشرقية الاوسطية ولما لم أجد وسيلة للوصول إلى أحد من الموظفين إضافة إلى أنه ليس على مكاتبهم لافتات تبين اعمالهم اضطررت إلى أن اقصد مكتباً خفيف الزحام كتب عليه دون غيره مكتب نائب المدير فذهبت ورجوته أن ينظر في أمري لأنني مضطر إلى السفر إلى كلكتا الليلة ولم اعرف كيف أصل إلى أحد من الموظفين بسبب الزحام ، فأخذ التذكرة وسأل من أحد الهواتف الموضوعه على مكتبه ولكن الذي كان يكلمه قطع الكلام معه اربع مرات فكان يضطر ويقول باللغة التاميلية مامعناه: لماذا انقطع الكلام ثم يعود إلى تكرار إدارة القرص مرة أخرى ، وفي المرة الرابعة قال: إنهم يقولون: إنه ليس هناك إلا الانتظار وقد اعطيناهم اسمك وعليك أن تراجع هذا المكتب في الثالثة بعد الظهر وان موعد قيام الطائرة هو الثامنة مساء .

وعندما عدت إلى سائق سيارة الأجرة لم أراه تضجر ولا تبرم وإنما اسرع
يفتح لي باب السيارة وينحني قائلاً: تفضل وعندما سارت السيارة قال: أرجو أن
لا يوصلك إلى المطار غيري ، إنني سوف آتى في الموعد الذي تحدده فقلت : إنني
لا اعرف الموعد حتى الآن ، فقال: سوف انتظرك عند باب الفندق في الوقت كله .
ووصلت فنقدته الروبيات الخمس عشرة وتوقعت أن يطلب زيادة عليها ولكنه
لم يفعل وإنما انحنى وهو يتقبلها شاكرًا.

ويلاحظ المرء أن سائقي سيارات الأجرة في هذه البلاد والعاملين الآخرين
على وجه العموم يتمتعون باخلاق عالية ، ومعاملة حسنة للراكب والمتعامل معهم
رغم ماتوحي به مظاهرهم وهندامهم ورغم انخفاض معيشتهم ، ولا أدري أذلك
بسبب خوف من الحكومة أم أن ذلك لأمر فيهم واطن أن الأخير هو الصحيح حتى
في قيادتهم للسيارات يفسح بعضهم لبعض الطريق ، وإذا خالف احدهم لم يجاهر
الآخر بسبه أو يكاد ينفجر من الغضب لذلك كما يفعل كثير من السائقين في بلادنا
العربية.

ومن خلال الذهاب والإياب إلى مكتب الشركة تذكرت المرور في الهند وما
يسببه ذلك من مضايقات أهمها صوت ابواق السيارات المزعج والدخان الكثيف
المحترق الذي ينبعث من محركاتها وقدم حالتها الذي يجعلها تتمايل وتتأرجح عند
أي نتوء تقابله من أرض الطريق إضافة إلى عدم العناية أو عدم القدرة على
مواصلة إصلاحها وترميمها.

وراجعت أهل الفندق عن موعد مغادرته وكان مكتوباً في الأوراق أنه الساعة
الثانية عشرة ظهراً إلا أن موعد مكتب الخطوط الهندية هو الثالثة وموعد قيام
الطائرة هو الثامنة أيمن لي أن ابقى إلى الثالثة؟

فأجابت فتاة رقيقة: أن نعم ، على أن تدفع حساب الليلة الماضية الآن .

ودفعت الحساب واقمت في مقصف بالطابق الأرضي مجاور لشركة للسياسة
خالية من السائحين والسائحات وذلك لأن عدد الأوروبيين في الفندق قليل ، ولأن
المطر كان يهطل وكان المقصف يكاد يكون خالياً فكانت فرصة للحصول على
بعض الراحة.

العودة إلى المطار :

وفي الساعة الثالثة كان خادف الفندق المطيع يحمل امتعتي ويضعها في سيارة أجرة اتفقت مع صاحبها على أن يمر بي أولاً على مكتب الشركة الهندية للطيران وأن يظل معي حتى أفرغ منه ثم يذهب بي إلى مطار مدراس كل ذلك بثلاثين روبية لاتزيد، مع أن المسافة بين مدينة مدراس ومطارها تبلغ عشرين كيلو متراً .

وقال الموظف: إن الحجز غير مؤكد وإن ترتبيك في لائحة الانتظار هو الثالث عشر ومع أن هذا الرقم يتشاهم به بعض الناس فقد واصلت السير إلى المطار وقلت في نفسي سأحاول السفر فإن تيسر وإلا نمت في فندق قريب من المطار أو غيرت تذكرتي إلى اتجاه آخر لأنه لا طيران إلى كلكتا إلا مرة واحدة في مساء كل يوم .

وهكذا قصدت مقهى المطار ومعني امتعتي فسألني موظف فيها قائلاً: إذا أنت مسافر إلى كلكتا؟ فقلت نعم، وكان الحمل الذي حمل امتعتي من سيارة الأجرة إلى مقهى المطار قد امتن من كوني اعطيته لقاء ذلك خمس روبيات فقال لي: إذا فتح مكتب الترحيل ابوابه فإنني سوف آتي إليك واحمل امتعتك إليه .

وهكذا بقيت في المقهى أكثر من ثلاث ساعات ، وكانت في أكثر الاحيان تقفر من الزوار إلا أن هذه الساعات الثلاث لم تضع مني سدى فقد جعلت اقرأ تارة وأسود أوراق في بعض ما تقرأه الآن تارة أخرى .

وحينما فتح مكتب خطوط شركة الطيران الهندية أبوابه لتجهيز الرحلة إلى كلكتا في الساعة السابعة والربع جاء الحمل الوفي فأخذ امتعتي وأوصلها إلى المكتب ووقفت في طابور الواقفين حتى وصلني الدور فقال الموظف: إنه ليس لك حجز مؤكد، إنتظر، وإذا كانت هناك فرصة سوف ادعوك .

ووقفت حتى انتهى أمر الركاب الحاجزين وإذا به يبدأ بأخذ الركاب غير الحاجزين وجعل يأخذ ويأخذ حتى خفت أن تضيع الفرصة فتقدمت منه وبسطت له تذكرتي وكان فرحي غامراً حين اعطاني بطاقة الدخول لأن ذلك سوف ينجيني من ضياع يوم على الأقل أنا في أشد الحاجة إليه ، وإذا بالحمل الوفي لا يزال واقفاً رغم طول الوقت يضع حقيبتني في الميزان ثم يذهب ليدلني على قاعة الانتظار الخارجية فأعطيته من الحلوان (البقشيش) ما أرضاه .

ولبثنا فترة أعلن مكبر الصوت في المطار أن رحلتنا سوف تتأخر وبالفعل تأخرت عن موعدها الأصلي بساعة ونصف ساعة ولكن ذلك بالنسبة إليّ لم يكن مشكلة مادمت قد حصلت على مقعد في الطائرة .

من مدراس إلى كلكتا :

أعلن مكبر الصوت أن على المسافرين إلى كلكتا الخروج من بوابة المطار فنهض القوم متثاقلين ، وبدأوا بالخروج متأنين غير مستعجلين وكان الذي ينقلهم حافلة واحدة ليست كبيرة ومن طراز قديم فامتلأت بسرعة مع أن الركاب هم لطائرة بوينج ٧٣٧ ذات المحركين فاعلقت بابها وانطلقت إلى الطائرة ثم جاءت مرة ثانية وكنت مع الراكبين فيها ، وامتلأت فذهبت وعادت ببقية الركاب .

وعند النزول من الحافلة والصعود إلى الطائرة لم أر القوم يتزاحمون فأكبرت ذلك فيهم وذكرت كيف يصنع الناس عندنا وبخاصة الشبان منهم الذين يتزاحمون على باب الخروج للطائرة ثم في الحافلة ثم في الصعود إلى الطائرة ، ولكني عرفت السر بعد ذلك وهو أن المقاعد كلها مرقمة والبطاقات كلها ذات أرقام ، إذاً لن يجلس أحد مكان الآخر .

ومع ذلك فإنني رأيت عندهم هدوءاً في الركوب وأدباً للغير عند المرور والنزول قل أن يوجد له نظير في البلاد العربية ، وقد امتلأت مقاعد الطائرة كلها دون استثناء بالركاب ، وهي ليست مثلها في بلادنا إذ هي في بلاد الهند قد رُصّت فيها المقاعد وحشيت بها حشوا حتى لا يكاد الرجل الذي يكون في المقعد أن يمد رجليه ، بل ذلك هو الواقع بالفعل .

ولم تكن في الطائرات الهندية التي ركبته منذ أيام وربما تكون طائرة واحدة رغم أن الرحلات كانت متعددة لأن خط السير واحد لم تكن فيها درجة أولى بل كلها درجة سياحية ، وكان مكاني في مؤخرة الطائرة ولكن في كرسي جانبي أي في الجانب الذي يلي الممر وهو مكان مفضل لأنه يمكن لصاحبه أن يجد شيئاً من الفراغ في الممر إذا خلا من المارة وما شعرت إلا بالمضيقة تأتي إليّ ومعها رجلان قالت: إنهما صديقان ومع كل منهما حقيبة يدوية كبيرة وأشياء أخرى وقالت بابتسام ولطف: أتريد أن تكون في هذا المكان ، تشير إلى مكان خالٍ في

المعد المتوسط الضيق حتى يكونا معا؟ فقلت : لا ، إنني لا أحب الكرسي المتوسط لأنني أريد أن أجد فراغاً حتى أستطيع الكتابة .

وفي الساعة التاسعة والنصف كانت الطائرة تهم بالصعود وأنا مشفق من ألا تستطيع ذلك لأن حملها كبير إذ يكاد يكون بل ذلك هو الواقع أن جميع الفراغ بداخلها مشغول بالركاب ماعدا الممر إلى جانب امتعتهم الكثيرة ولكنها تحركت بالفعل وفارقت الأرض بعد أن علا صوت محركاتها بالزمجرة والهدير الذي نسمعه من داخلها .

وقبل أن تستوي في الجو أطفأ القائد إشارة ربط الحزام .

وكانت المذيعة قد اعلنت أن الرحلة من مدراس إلى كلكتا ستستغرق ساعة وخمسا وخمسين دقيقة .

هل أنا نباتي؟

حان موعد توزيع الطعام وإذا بالمضيضة تأتي بطعام بين يديها في صحاف من اللدائن الصغيرة وهي تخاطب الركاب بسرعة بكلمة ظهر لي كأنها واحدة فيجيبونها بنعم أو لا ، ومن اجاب بنعم اعطته مما معها وسألت جاري عما تقول فأجاب : إنها تقول فجيتريان؟

أي : هل أنت نباتي؟ ولما جاءت وقالت لي ذلك ، قلت لها : لا ، بل أنا من أكلة لحوم . . . وأردت أن أقول البقر ، لا البشر بطبيعة الحال ولكني ذكرت انني في البلاد التي تعبد البقر فقلت : لاداعي للخصومة وسكت وكان جاري من جهة اليمين نباتيين اي لا يأكلان اللحم أما جاري من الشمال وهما رجل وامرأة شابة تشبه أن تكون زوجته فليسا كذلك واطن أنهما مسلمان لأن المرأة لا تبرز بطنها وظهرها كما تفعل الهنديات ، وإن كانت قد ارتدت الساري الهندي مثلهن ، إلا أنني لاحظت أنها تلبس تحته شيئاً ساتراً .

وذلك الطعام الذي جرت الخصومة حوله لورآه الواحد منا في بلادنا لاصابه الجوع إذ هو خبيزة صغيرة قد شقت نصفين ووضع بداخلها شئ قليل جداً من اللحم المطحون كأنما هو تحلة القسم فقط ، ثم قطعة واحدة من السنبوسك ، ومقدار

من السلطة الخضراء التي عمادها الخس ولكنهم وضعوا فيه شيئاً حلوّاً كالسكر ،
ولك ان تتصور سلطة قد حليت بالسكر .

هذا هو الطعام ، وبعد ذلك جاء الماء وهو هنا مهم وليس كما هو عليه الحال في
البلاد الأوروبية وذلك لحرارة الجو وشدة الحاجة إلى الماء فعلى سبيل المثال كما
رأيت في قاعة القادمين في مطار مدراس عندما وصلت امس لافتة تقول هنا
يوجد الماء البارد للشرب وتشير إلى ممر جانبي . وبعد الماء: القهوة والشاي .

ولم أر الركاب يشتررون أنواعاً أخرى من الشراب في الطائرة كما يكون في
الرحلات المماثلة في الخارج ولم أر المضيفات يعين ذلك .

أما المضيفات انفسهن فإنهن من الهنديات ولكنهن كلهن هذه المرة من الشمال
يظهر ذلك من سحنهن ومن بياض بشرتهن إلا أن اشكالهن غريبة حقاً فهن بين
الجنس المغولي والجنس الهندي والظاهر أنهن من سكان جبال الهمالايا ، أو ما
قرب من تلك الجهة ، وخدمتهن جيدة ، وهن يجاملن الركاب ويصبرن على تلبية
حاجاتهم الكثيرة من الماء والوسائد والاستفسارات .

في مطار كلكتا :

وصلنا في الساعة الحادية عشرة والدقيقة الخامسة والعشرين قبل منتصف
الليل ، ولم يكن في نظر القادم إليه لائقاً بأكبر مدينة هندية إذ كانت غرفة القdom
فيه صغيرة تحتاج اصول الجدران فيها إلى ترميم . وكان الجو حينما نزلنا من
الطائرة جيداً إذ هو ليس رطباً مثل مدراس ولا حاراً رطباً مثل كولمبو .

جاءت حقائب المسافرين فبادر أحد الحمالين الشبان إلى أخذ حقيتي وقال لي :
إلى أين؟ فقلت إلى فندق المطار .

وذلك لأنني كنت قد سألت بعض الأوروبيين الذين كانوا معنا ونحن نتهيأ للسفر
في قاعة المسافرين في مطار مدراس عن الفندق المناسب في كلكتا؟ فأجابوا: إنهم
سيقضون الليلة في المطار لأن أجرة الفنادق في كلكتا غالية جداً ولا يستطيعون أن
يدخلوا البلد في هذه الساعة المتأخرة ثم سألت أحد المواطنين من الهندو كان جالساً
بجانبي فقال: لا يحسن الدخول إلى المدينة في الليل لأن المرء لا يأمن في ذلك

الوقت ، وإنما الأفضل لك أن تقضي الليلة في فندق المطار وهو ليس بعيداً عنه ثم تدخل البلد في الصباح .

وخرج الحمّال بالأمّعة واخذ يبحث عن سيارة الفندق وكان أحد الأشخاص واطنه هندياً ثرياً قد انضم إليّ ووقف ينتظر سيارة الفندق ، فقلت له: لنأخذ سيارة أجرة فقال: هذا جيد ولكن اين سيارة الأجرة؟ إنها لا توجد الآن لأن الساعة تقارب الثانية عشرة اي منتصف الليل .

ومن عجب أن ذلك صحيح فليس عند مدخل المطار أية سيارة إلا واحدة أو اثنتان ربما كانت لأحد الأشخاص المستقلين ، كما أن المطار نفسه ليس فيه حركة كبيرة ولم اشاهد اي استعداد لاستقبال طائرة جديدة وإنما فيه عدد كبير من الجالسين المنتظرين وبعضهم يداعب النوم جفنيه ربما كانوا كلهم أو أكثرهم مثل اولئك الأوروبيين يريدون أن يقضوا الليلة في غرفة الانتظار بالمطار ، علماً بأن هذا المطار هو لأكبر مدينة هندية ونحن عندنا في البلدان العربية يجد المرء السيارات والناس في مطارات المدن الكبيرة طول الليل والنهار .

وبعد انتظار طويل ممل كان الحمّال المسكين يركض هنا وهناك يبحث عن سيارة أجرة أو سيارة للفندق فلا يجد وكان الهندي الآخر يقول لي : انظر إلى حقيتي مع امتعتك ، ويذهب يبحث عن سيارة فلا يجد ولما سألته عن السبب؟ قال: إن سائقي سيارات الأجرة لا يجدون في العادة من يحبون الدخول إلى مدينة كلكتا في الليل . ولذلك لا يوجدون هنا .

وبعد لأي وانتظار جاءت السيارة وهي حافلة تابعة لفندق المطار مكتوب عليها اسمه ، فركبنا ونحن لانكاد نصدق ولكنها ظلت فترة أخرى واقفة فلم ننزعج لذلك لأننا راكبون .

هذا وقد وقفت الحركة تماماً حول المطار وهدأت ساحاته وأخيراً تحركت الحافلة ووصلنا الفندق وكان واسع البهو ، عليه أمارات العناية وبأنه من فنادق الدرجة الأولى ، وكتبت في البيان الذي يطلب فيه من النزيل أن يوضح ساعة الوصول إلى الفندق أنها الثانية عشرة والنصف من بعد منتصف الليل ، وكانت الأجرة (١٨٠) روبية وهو مبلغ ليس كثيراً بل هو قليل بالنسبة إلى مستوى الفندق ، إذ لا يزيد ذلك على (٧١) ريالاً سعودياً .

يوم الثلاثاء ١٢ محرم ١٣٩٩هـ الموافق ١٢/١٢/١٩٧٨م

مدينة كلكتا :

هي أكبر مدينة في الهند ذات المدن الكبيرة العملاقة في عدد السكان وان لم تكن عملاقة في غير ذلك مع ان بعض الناس يعدها أكبر مدينة في العالم كله ومن لايعدها كذلك فإنه يضمها إلى المدن الكبرى في العالم مع طوكيو وشنغهاي في الصين ، ومكسيكو في المكسيك ، وسان باولو في البرازيل ، ويبلغ عدد سكان كلكتا اثني عشر مليوناً .

مع أن كلكتا مشهورة بأنها أكثر المدن الكبرى في الهند تأخراً من حيث النظافة والتخلف في المرافق العامة تليها في عدد السكان مدينة بومبي ، ولكنها أنظف منها ، واغنى وأكثر حركة وتجارة ، وتحفل بالمرافق العامة للسكان وشوارعها منسقة أكثر من شوارع كلكتا بكثير .

ونحن ندخلها الآن في اعقاب أمطار غزيرة أصابت منطقة البنغال الغربي الذي تكون كلكتا عاصمته ، فأحدثت فيضانا ضاراً بها .

عندما ماكنت أدفع الحساب لموظف في فندق المطار سألته عن الفندق الممتاز في كلكتا وقد قلت الممتاز لأن كلكتا عقب الفيضان قد تلوثت فيها مياه الشرب واختلطت بمياه المجاري كما سمعناه من الإذاعات ، لذلك لا بد من السكنى في مكان ممتاز يعتني اهله بنظافته ونظافة مايقدم فيه .

فأجاب: أنه فندق أوبروي قراند، أي الكبير ، قلت: وسيارة الأجرة من هنا؟ قال خمس وعشرون روبية فقلت: وما مقدار بعده؟ قال: خمس واربعون دقيقة . وأشرت إلى صاحب سيارة أجرة مرت ، فإذا به يأتي وهو سيخي والسيخ أصلهم من بلاد البنجاب في شمالي الهند لذلك كانت أجسامهم قوية ومناظرهم مألوفة بالنسبة إلينا نحن سكان البلدان العربية فأعطيته العنوان وطلبت منه أن يحدد الأجرة فقال: خمس وعشرون .

وركبت معه وأنا اطمع في ان يكون فصيحاً بالانكليزية كما عودنا على ذلك أهل مدراس الذين لغتهم الاصلية هي التاميلية ولكنني لم اسمع مكبر الصوت في

المطار فيها ينطق بكلمة واحدة منها بل كل ما كان يصدر عنه كان بالانكليزية، وذلك لأن جمهور المسافرين هم من الأجانب الذين لا يعرفون التاميلية أو من أهل البلد الذين يعرفون الانكليزية كما أن المكبر لم يعلن ولا مرة واحدة باللغة الهندية التي هي اللغة الرسمية لحكومة البلاد والتي اصلها من السنسكريتية لأنه لا أحد من جمهور المسافرين يفهمها هناك .

ولكن عندما كلمته بالانكليزية لم يفهم مع الأسف منها شيئاً فقلت له بالأوردية (جنتا زبان اردو؟) اي: أنتكلم الاوردية؟ ففرح بذلك وقال: چي، أي، نعم .

ثم سألتني أنتكلمها؟ فقلت: تورا تورا؟ أي قليلاً قليلاً، ثم سألته عن اللغات التي يحسنها فأجاب إنها اربع البنجابية والاوردية والبنغالية والهندية. ولم تكن فيها الانكليزية. لذلك حرمت من شرح ما يحتاج إلى الشرح من كلامه .

وبلغ طول الطريق من فندق المطار إلى فندق (ابروي قراند) في كلكتا اثنين وثلاثين كيلاً كلها إلا حوالي ثلاثة كيلات في داخل مدينة كلكتا الكبيرة

إبتدأ الطريق وهو ذو اتجاهين يفصل بينهما جزيرة غير عريضة مزروعة بالحشائش والنباتات غير المزهرة ومسورة بالاسلاك حذراً من أن تأكلها الابقار السائبة التي هي معظمة، بل مؤلّهة في هذه البلاد الهندية .

ويرى المرء على يمين الطريق ويساره آثار الفيضان مياها لا تزال متخلفة في الاماكن المنخفضة، وآثار طمي أسود كبير على ضفاف بعض مجاري المياه ويريد السائق أن يوضح لي ذلك فلا افهم ما يقول، وأراه واسمعه ينتقل بحديثه من لغة لا افهمها إلى أخرى لا أفهمها يُقَلَّب الكلام وأنا لا أفهم منه ما يقصده لأنه لا يفهم إلا اللغات الهندية .

وكلما زدنا في المشي أو قل: كل ما أوغلنا في المدينة زادت كثافة المارة وازدحام البيوت حتى وصلنا قلب المدينة الغاص بالناس فإذا به ذو بيوت متلاصقة، وارصفة غير مصونة، وأرض مسفلتة ولكن سفلة ضررتها أكثر مما نفعتها لأنها مليئة بالحفر الصغيرة .

والأدهى من ذلك صعوبة السير فقد عجبت لسائق سيارة الأجرة كيف يستطيع ان يخلص نفسه وبدون مبالاة من هذا الطوفان المؤلف من اناس ومن سيارات ركوب كبيرة تنفث الدخان الكثيف المؤذى ومن عربات الركشا التي يؤلم منظرها النفس ، ويحز في الفؤاد ذلك بأنك ترى رجلاً قد يكون ضعيف البنية هزيل البدن مصفر الوجه ، وان كان وجهه لا يعدم بقعة حمراء فيه تلك هي فمه الذي يكون احمر من اكل التببول تراه وهو حافي القدمين قد أمسك بيديه خشبتين أو قل اثنتين من العصي - جمع عصا - قد ربطتا إلى عربة ذات عجلتين قد ركب فيها شخص أو شخصان وقد يكون الراكبون أسرة أكثر من شخصين وهو يجر هذه العربة بهم بين زحام الناس والسيارات وهو إذا وصل مكانا مرتفعاً جمع جسمه وبذل كل جهده لكي يستطيع ان يجر منه العربة وإذا بلغ منخفضاً حاول أن يقف حتى يخفف من اندفاعها ومن حسن حظه وامثاله أن المرتفعات والمنخفضات هنا قليلة.



راكب في الدراجة التي يجرها رجل

والمؤلم أن الراكب الذي يبدو سعيداً في مركبه المظلل حتى عن الشمس والمطر وهو يرى ذلك الانسان الشقي يجرب به العربة ماشياً في الشوارع حتى يصل به إلى مقصده مع أن الراكب قد يكون اقوى جسماً وأكثر لحماً من السائق .

أما سائق السيارة التي اركبها فما رأيت أمهر منه في هذه البلاد، ولكن ما رأيت اقل رحمة منه لهؤلاء الساحبين لعربات الركشا ولا لأولئك المارة البائسين ، فهو إذا حاذى أحداً منهم الحّ على بوق سيارته القوي ينذرهم ويحذرهم دون أن يقف أو يخفف من سيره فيضطرون هم للوقوف أو الانحراف والابتعاد عن طريقه ، أما أنا فقد اجتمع عليّ عاملان من التأثير احدهما من منظر أولئك البائسين من الحفاة الساحبين للعربات . والثاني : الخوف من منظر حادث يضع سائق السيارة فيه نفسه ولكن ذلك لم يحدث حتى وصلنا إلى بناء ليس بذاك من بعيد أشار إليه السائق قائلاً: هوتيل أوبروى أي: هذا هو فندقك ولكنه على البعد ليس مما يطمئن إليه والمنطقة التي هو فيها ليست فاخرة مع أنه يفترض أن يكون مثله في منطقة جميلة لأنه من مساكن السائحين ، وأرباب الأعمال التجارية .

ولكن عند ما وقف عند بابه رأيت جماعة من الأوروبيين والأمريكيين خارجين منه فاطمأنتت إلى أنه سيكون جيد المستوى لأنهم في الغالب لا يختارون إلا ماكان كذلك .

وبادرنا عند السيارة شخصان احدهما: حامل الفندق ، والثاني: امرأة هندية تحمل طفلاً اخذت تستجدي ، وتلح ولم افهم من كلامها إلا قولها (بابا) (بابا) وهي كلمة اكرهاها من النساء حتى من هذه الهندية التي يخيف منظرها الرجال ولكن ذلك من وحي قول الشاعر :

وإذا دعوتك عمهن فإنه نسب يزيدك عندهن خبالا

وتخلصت منها بصعوبة ومن صبي شحاذ ايضاً ، ودخلت إلى الفندق الذي كان داخله خيراً من مظهره الخارجي وهو ذو ممرات وأبهاء جيدة فوجدت في مكتب الاستقبال رجلاً ونساءً ثلاثا بلا شك من غير اهل هذه المنطقة فهن صباح الوجوه ، إلا أنهن يرتدين اللباس الهندي الذي لا يوافق أذواق كثير من الناس .

وقلت للرجل: اريد غرفة فقال احجزت من قبل؟

فقلت له: لا . فنظر في أوراقه ثم اعطاني بطاقة قال: إملاًها فلما بدأت بذلك رأنتي احداهن فجاءت تبتسم وتنظر فيما اكتبه وتريني أشياء قد ألفتها ومرت عليّ كثيراً في كثير من الفنادق ، ولكن كان وجهها في هذه المدينة وبين وجوه نساءها كالواحة الخضراء وسط الصحراء فلم اكره ان ترشدني إلى ما لا احتاج إلى الإرشاد إليه ، وعندما انتهت البطاقة قالت وهي تبتسم ، إن غرفتك تحتاج إلى اعداد فيمكنك أن تلبث في المقهى مدة ثلاثة أرباع الساعة حتى ينتهى ذلك فسألتها؛ وأمتعتي؟

فأجابت : لقد وكلت بها أحد الخدم فشكرتها وخاصة أن الابتسام هنا قليل ، وآخر عهدي به كان في جزر (المالديف) عندما تركتها قبل ثلاثة أيام ، وكانت الابتسامات في الطائرة الهندية موجودة على شفاء بعض المضيفات الهنديات ولكنني لم اعتبرها إلا (تكشيرات) غير مستحبات لأنها من وجوه غير صبيحات . ولم اكد اجلس في المقهى حتى جاءني الخادم الموكل بأمتعتي وهو يقول إن غرفتك جاهزة ، ويريني مفتاحها بيده .

وحمل الحقيب وهو لا يكاد يقوي على ذلك لضعفه وربما كان مع الضعف كبير السن ، وصحبني إلى ممرات في الدور الثالث من الفندق عديدة متعرجة إلا أن مظهرها جيد فهي مفروشة بالسجاد الموحد وهو الأحمر المنقط بصفرة حتى وصلت إلى الغرفة فإذا بها غرفة واسعة فيها سرير واحد عريض يتسع لشخصين إلا أن الأدوات التي في الغرفة والحمام الذي فيها قديمة الطراز ، وقد اعطوني بطاقة توضح رقم غرفتي وأن أجرتها لليلة الواحدة ثلثمائة وخمسون روبية يضاف إليها ١٠ ٪ خدمة وبذلك يكون أغلى فندق في الهند نزلته مع أنه لا يستحق كل ذلك ولكن الفنادق النظيفة ليست كثيرة في كلكتا .

جولة في كلكتا :

كلكتا مدينة ضخمة سكانها كما قلت اثنا عشر مليوناً ولذلك لا أدري أيصح أن يقال عن تمشية قضيتها في شوارعها القريبة من الفندق جولة أم لا ولكنها على أية

حال جولة في بعض أنحائها وربما تعطي فكرة عن باقيها إلا أنها تعطي فكرة أزهى وانضر لأنها في حي يعتبر الحي الراقي القديم فيها .

كانت الجولة على الاقدام فسرت وكان أول مابادرني وانا خارج من الفندق امرأة (شحاذاة) تحمل طفلها رأيتها واقفة عند الفندق تصطاد الخارجين والداخلين وهي تلح وتهمهم بما لا افهمه ، وصبي يحمل اداة تلميع الاحذية وصبغها وهو يلح في أن أقف ، واصبغ حذائي عنده وتجاهلت الاثنين فنكص الصبي ولم تنكص المرأة وظلت تلاحقني حتى ابعدت .

اخذت أتأمل سحنات الوجوه ، وابصر حركات الناس فإذا بهم وكأنهم جنس آخر من الناس إلا أنهم لم يخرجوا بذلك عن دائرة الجنس الهندي وهذا من عجائب الهند ففيهم من سحنة الهند وسمرتها كما في سائر أهل الهند ولكن لهم لغتهم الخاصة التي هي اللغة البنغالية ولهم مع ذلك سحناتهم الخاصة التي لا أدري ماهي ، ولكن القادم مثلي من مدينة مدراس ذات الشهرة الواسعة في السمرة وبأن أهلها هم من اهل الهند الاصليين الذين لم يختلطوا بالأجناس الآرية القادمة من الشمال لا يستنكر السمرة .

الجن في كلكتا :

لا أدري وأنا انظر وجوه بعض الناس في كلكتا وليس كلهم كيف خطر لي أن أستعيز من الجن مع أنه ليس فيهم شبه من الجن ولأنني لم أر الجن حتى الآن ولكن المرء إذا رأى القصير النحيل الذي يكون في بعض الاحيان بارز العينين لاسبب كبر عينيه ، وإنما بسبب ضمور وجنتيه وإذا رأى وفهم من حالته فهما وإن لم يقلها هو قولاً بأنه يعاني شيئاً من النقص ويبحث عما يسد به نقصه فإنه يشعر شعوراً هو مزيج من الشفقة والإستغراب .

فأهل كلكتا على وجه العموم سمر ولكنهم ليسوا اكثر اهل الهند سمرة بل هم اقل سمرة من أهل مدراس ولكنهم أكثر نحولاً في الاجسام ، واقصر قامات ، وأمارات العوز ظاهرة على وجوه جمهورهم ، وشئ اهم من ذلك هو أن المرء يستغرب من عدم التناسق في تقاسيم وجوههم وفي اجسامهم مثل مايشعر بذلك إذا رأى بعض أهالي سيلان .

أول ماتعجب له هو كثرة الحوانيت الصغيرة التي تباع التنبول للمارة ويكون صاحبها في الغالب متربعا على دكانه وفي الغالب يكاد يكون قد شغله كله بجسمه لأن الدكان يكون صغيراً لعدم حاجته إلى الكبر والسعة، وترى المارة يقفون عنده ويشترون ويضعون في أفواههم، وبعضهم تراه وقد وضعه قبل ذلك فأصبح فمه احمر كمؤخرة القرد، وتراه يبصق في بعض الاحيان فتشمئز من ذلك ولكنك ربما تعتاد على رؤيته لأن البصاق في شوارعها كثير.

ولن يكون شعورك هنا هو شعور الإشمئزاز وحده وإنما سيكون معه شعور بالرتاء والشفقة إذا رأيت أولئك القوم الحفاة وهم يجرون العربات التي تحمل الاشخاص يجاهدون أن يسرعوا بها والراكبون من فوقهم لا يبالون بهم ولا بما يعانونه من مشاق.

وقد تجد صفا من هذه العربات بجانب الرصيف ينتظر قادته أو على الاصح حملته ان يقيض الله صيدا سميماً يقع في شباكهم أو يقعون هم في شباكه فكنت إذا مررت بهم وتوسموا فيك سمن الجيب فإنهم يحركون اجراساً في ايديهم اعتادوا ان يستعملوها لتنبيه الناس على الابتعاد عن طريق عرباتهم إذا كانوا يسيرون بها في الشوارع فهي لهم بمثابة أبواق السيارات. فإذا لم تنفع تلك الاجراس في ايقاظك من غفلتك عنهم أو كنت مثلي ممن لا يحبون أن يلتفت اليهم الناس إذا كانوا غرباء فلم تنف رغبتك في الركوب معهم فإنهم يشفعون قرع الأجراس، بقرع الاضراس إن صح التعبير إذ يصيحون بك أن تركب معهم وقد نازعتني نفسي إلى أن اجرب الركوب معهم لأنهم قرييون من الأرض واجرتهم رخيصة ولكنني لم استطع ذلك لأنني لا احتمل ان أرى عذابهم وجهادهم في تحمل جرما يحملونه.



رجال يجرون عربات الحمل في كلكتا

ومضيت اتجول فإذا بي أرى نوعاً آخر من العربات التي تجرها الطاقة البشرية إلا وهي عربات مخصصة لحمل الأثقال مثل أكياس الأرز والقمح، وقطع الأخشاب الثقيلة ونحو ذلك وهذه لا يجرها الحيوان، وإنما يجرها الإنسان ولكن يتظافر على جرّها أكثر من واحد ويكون المتوسط أن يشترك في جرّها رجلان حتى إذا ما وصلا إلى مرتفع نسبي تأخر أحدهما وبدأ يدفعها دفعاً من تلقاء مؤخرتها، في حين يكون صاحبه يواصل جرّها من الأمام.

ومما يثير العاطفة أكثر أنني رأيت رجلاً يجرّ عربة عليها حوالي عشرة أكياس من أكياس الخيش الكبيرة مليئة وامرأة معه لعلها زوجته أو قريبتها تدفعها من الخلف تعاونه بذلك.

ومررت بمطاعم شعبية ولكنها من النوع غير الراقى إذ تجد موائدها صغيرة والاطعمة التي تقدم فيها قليلة والخدم الذي يعملون فيها ليسوا على المستوى المناسب من حيث لباسهم ومن حيث صحتهم، ولم ادخل هذه المطاعم أو أكل فيها وإنما أشرفت عليها من البعد.

ويرى المرء هنا كثيراً من الناس من الذين يلبسون اللباس الهندوكي القديم وهو الإزار المؤلف من قطعة واحدة من قماش أبيض خفيف يلفه المرء حول وسطه ثم يرفع طرفه حتى يبدو ما بين فخديه إلى أعلى من الركبة كثيراً ويكون جزء منه مدلى تحت الرجلين يعرقل السير كما تعرقله فضلات الساري الهندي الذي تلبسه النساء ومع كل ذلك فأهالي كلكتا يتألقون في حلق اللحى فقلما يجد المرء فيهم رجلاً بلحية وإنما غالبهم يحلقونها.

واغرب ما رأيت في مدينة من المدن الكبرى وهو أمر لم أره في المدن الهندية الكبيرة أنه أمام فندقنا (ابروي قراند) موقف لحافلات الركاب إذا وقفت السيارة وقف رجل ببابها، وغالباً مايكون فتى ينادى بأقصى صوته على الجهة التي تقصدها وبعضها يقف اثنان يناديان عليها احدهما في الباب الأمامي والثاني في الباب الخلفي على كثرة الحافلات لذلك تتشابك اصوات المنادين، وتزيد ضجة الشارع إلى جانب ضجة السيارات لأنه شارع رئيسي في المدينة.



حافلات في شارع رئيسي في كلكتا

وعلى الرصيف يجد المرء باعة كثير من البضائع المختلفة وأغلبها من المصنوعات الهندية الرخيصة جداً مثل حافظات النقود الجلدية التي رأيت صاحبها ينادي عليها بروبية واحدة مع أنها مزركشة ومنقوشة، أما النساء فأكثر المارات منهن هن نساء الهند في لباس الساري التقليدي الذي تلبسه الهندوكيات غير أن كشف البطن والظهر ليس موجوداً بالكثرة الذي هو موجود بها في سائر مدن الهند الكبرى فهو موجود إلا أن بعض النساء يستترنه بطرف الساري.

وأما ملامح النساء ومظاهرهن فإن «النساء شقائق الرجال».

وبعد هذه الجولة المتعبة التي كان مصدر تعبها من المشي عدم رؤية الاشياء الجميلة لامن أهل البلاد الذين كانوا لعمر الحق مؤدبين مع الغريب لايؤذونه ولايعترضونه حتى المتسولون قد انتهت منطقتهم بدائرة حول الفندق كان لابد لي من الاستراحة في الفندق على أن تكون الجولة الأخرى في هذا المساء أو في صباح غد.



شارع في كلكتا

وعدت إلى الفندق وذهبت إبحث عن وكالة للسياحة الداخلية لأحجز معها تذكرة وحرى بهذا الفندق أن يكون هو المقر الملائم لها، كما ذهبت إبحث عن مكتب لشركة الطيران الهندية لأحجز معها للسفر في مساء الغد إلى (داكا)، فلم أجد الاثنين وإنما وجدت وكالة للسفر قالت الفتاة التي في مكتبها: إنني سوف أحجز لك إلى داكا مساء غد ولكن عليك أن تعطيني التذكرة الآن وتأخذها بعد العصر.

وأما الوكالة للسفر الداخلي أو للجولة في المدينة فأخبرتني كما أخبرني موظف في الفندق أنه لا يوجد هنا وكيل لها وإنما يوجد مكتب حكومي لهذا الأمر وقد تكون عنده سيارة صغيرة ودليل معها وليس حافلة من حافلات السياح المعروفة في العالم والتي تكون رخيصة جداً بالنسبة إلى أجرة سيارة صغيرة خاصة.

وبعد الظهر رجعت إلى موظفة الشركة فلم يكن منها إلا أن رفعت سماعة الهاتف وتكلمت بلغتها ثم كتبت شيئاً على التذكرة وقالت: لقد تم الحجز فأعطني عشر روبيات.

وكان موعد السفر في الساعة الرابعة بعد ظهر غد على أن تكون مغادرة الفندق في الساعة الواحدة بعد الظهر لطول المسافة والمدة مابين الفندق والمطار.

جولة أخرى :

وفي المساء ما بعد العصر إلى قرب العشاء كانت جولة أخرى في مدينة (كلكتا) الكبيرة ذات الاناسي الكثر الذين لو جاز أن يقال إنهم لو ضغطوا لعادوا إلى أقل من نصف ما هم عليه بالنسبة إلى الناس الآخرين في العالم الآخر الذي هو خارج العالم الهندي، فدخولهم المالية منخفضة وأجسامهم ليست ضخمة ومآكلهم ليست كمآكل الآخرين وحاجتهم أو قل ما يتحقق لهم من حاجاتهم هو أقل من غيرهم بقليل، ولكنهم قوم لهم مثلهم العليا، التي بها يتعلقون ولهم آدابهم في العلاقات العامة التي بها يتعاملون، ولهم فلسفتهم في الحياة التي يعيشون، ولله في خلقه شؤون، ولكن أكثر الناس لا يعلمون.



في حي شعبي في كلكتا

المرأة في الشارع :

وفي شوارع هذه المدينة الهندية الكبرى وفي شوارع غيرها من المدن الهندية وفي ميادين تلك المدن ومحلاتها العامة كالفنادق والمطاعم يرى الغريب المرأة الهندية سافرة الوجه بل ظاهرة الظهر والبطن ولكنه لا يرى ابداً مناظر معاكسات أو مغازلات أو اشياء في الشارع يخجل منها المرء، أو يندى جبينه، فالرجل لا يفعل ذلك مع المرأة والمرأة لا تفعله مع الرجل حتى مع الرجل الغريب فإنها تمضى في سبيلها وإذا لفت نظرها الغريب فانها تنظر إليه كما تنظر إلى شئ غريب آخر أو هكذا تظهر للناس فلا فرق في نظرها - في الظاهر - بين نظرتها إلى الرجل حتى وإن أعجبها مظهره وبين نظرتها إلى الطفل أو حتى إلى السيارة وذلك لأن تربيته قد فرضت عليها ذلك وهي وأهل بلدها قد اختاروا هذه التربية أو اختيرت لهم من اسلافهم فساروا عليها .

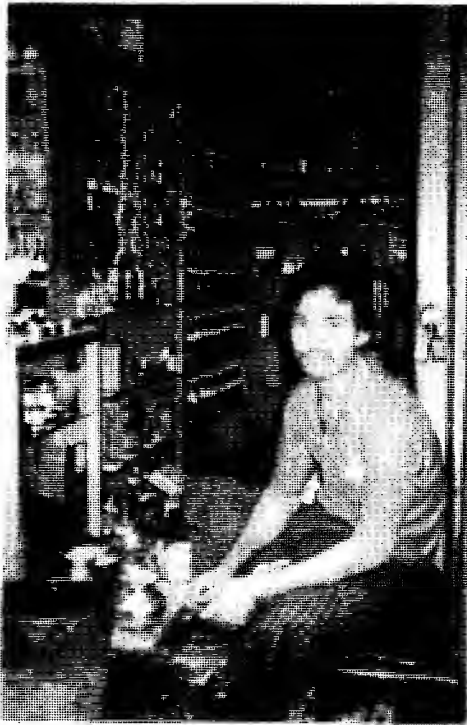
حتى المرأة الاجنبية التي تخالف المرأة الهندية في كل شيء تقريباً فإن الرجل الهندي لا يلتفت إليها، ولا يتبعها بصره كما يفعل العربي مثلاً ولا تراه يلتفت إلى زميله أو رفيقه يلتفت نظره إليها فضلاً عن أن يتابعها بالمشي أو يطري جمالها بشئ يعبر به عن اعجابه كالصفير مثلاً.

وهذا عجب من أمر الهند التي لاتفنى عجائبها.

وفي هذه الجولة المسائية كان المارة أكثر في شارعنا الرئيسي الذي يقع عليه الفندق وفيما حوله من الشوارع وربما كان ذلك لكونهم قد اعتادوا مثلاً ألا يبقوا في البيوت ساعة الغروب بسبب طيب الجو في تلك الساعة لاسيما في مدينة تكون حارة في الصيف بل شديدة الحرارة، أما في هذا اليوم فإن الجو فيها ربيعي جميل فثياب الصيف البيض الرقيقة هي السائدة دون أن اراهم يشعرون بالبرد وأما أنا فإنني قد لبست قميصاً خفيفاً ليس غير ولست أشعر بالحر أو بالبرد.

الرقص الهندي :

لم تكن لدي ارتباطات أو مواعيد خارج الفندق هذه الليلة فجعلت ابحث عن مكان اقضى فيه جزءاً من هذا المساء فإذا بي اجد اعلاناً في الفندق يقول: إن الراقصة الاسبانية الشهيرة في إجادتها لرقص الفلامنكو موجودة هذه الليلة في بار الفندق وسوف تستمتع بذلك، فقلت في نفسي: هذا لايناسني ولو اردت مشاهدة رقصة الفلامنكو لكان في موطنها اسبانيا افضل.



بائع التبول في كلكتا

ثم وجدت لوحة إرشادية تقول : شاهد هذه الليلة الرقص الهندي التقليدي في غرفة كذا حيث يقوم الراقص الهندي بابرار مقدرته الفنية لك وسيكون ذلك في الساعة السابعة مساء فقلت: هذه هي الفرصة السانحة التي ربما لا تتكرر كثيراً فالرقص الهندي مشهور عندنا بأنه لا يقصد منه الإغراء أو اظهار مفاتن الجسم ، كما هو معروف عندنا عن رقص النساء ، وقد تبين بعد ذلك ان ماسمعناه صحيح .

ذهبت إلى حيث وصف الموضع استهدي باللافتة حتى وصلت إلى مكان لم اتحقق أنه المطلوب في الطابق الأول وإذا بأحد الخدم يمر بي فاسأله عن ذلك فيقرع ذلك الباب ويخرج منه رجل اخبرته بمقصودي فأجاب: نعم تفضل والرسم المقرر لمشاهدته هو تسع روبيات وليس لدينا أكل أو شرب أو غيره فقلت: لا بأس . فقال: ادخل وسوف آخذ منك النقود بعد ذلك .

ودخلت إلى غرفة واحدة غير واسعة قد صف في جهة من جهاتها صفان من الكراسي أكثرها مشغول بقوم من الأوروبيين جاؤا مثل ما جئت ليروا الرقص الهندي الشهير ، وفي الجهة الأخرى جلس على الأرض اربعة من الهنود يعزفون الآلات الموسيقية الهندية التقليدية وكلهم قد جلسوا على الأرض متربعين دون كراسٍ .

وكانت اصوات الموسيقى عالية بالنسبة إلى كون الغرفة مغلقة وصوتها ليس محببا لعدم اعتياد آذاننا عليها ولكن المقصود من المجيء ليس هو سماع الموسيقى الهندية ، وإنما هو مشاهدة الرقص الهندي التقليدي .

وبعد إشارة موسيقية من عزف على الدف شديد دخل رجل نحيل يركض وجعل يتمايل على انغام الموسيقى بحركات ليست متناسقة بالنسبة لما نفهمه لأنه كان فيما نظن يحكي برقصه حوادث قصة أو يشير إلى شئ معين . وكان نحيل الجسم كما قلت ولكن الغرابة في أنه قد لبس في ساقيه عدداً من الخلاخيل والاشياء التي تشبه الاجراس تجلجل اصواتها إذا حرك رجليه أو أتى بأية حركة . وهو ذو لحية دقيقة وعارضين خفيفين يتناسبان مع وجهه الدقيق الطويل وعلى رأسه عمامة هندية تقليدية شبيهة بالتلي تكون على رؤوس طائفة السيخ في الهند .

وبعد قفزات وتمايلات على أنغام الموسيقى جاءت امرأة هندية متوسطة الجسم والعمر واللون فلاهي بالبيضاء ، ولا السمرء وقد لبست لباساً هندياً تقليدياً أهم مافيه الخلاخيل الكثيرة في ساقها التي تحدث أصواتاً خاصة عند الحركة وأخذت تتبادل معه القفزات والتمايلات والحركات التي تشير إلى معانٍ لانفهمها غير أنه ليس من بينها الإغراء أو حكاية ما يكون بين المرأة والرجل من أشياء يخلج منها بعض الناس .

هذا والمرأة مستورة الجسم والرأس لايبين منها إلاأسافل رجليها ووجهها وقد خرمت طرف انفها وجعلت فيه سلسلة ذهبية امتدت عبر خدها إلى جانب رأسها . ثم دخل في الحلبة راقص آخر وهو رجل لايمكن وصف منظره إلا بأنه منفر يشمئز منه الذوق ولعل القصة التي لم نفهمها تقتضي ذلك . ثم انتهت هذه الفقرة واستمرت الموسيقى تعزف بصوت مرتفع .

ثم دخل رجل عرفنا بعد ذلك أنه هو نفسه الأول ولكنه كان قد غير ملابسه وهيئته ثم دخل زميل له آخر ، وأخيراً دخلت امرأتان هما الأولى وفناة نحيلة جديدة على الرقصة .

هذا والرقص يتم دون حلبة وعلى أرض غرفة ضيقة .

وبعد حوالي اربعين دقيقة انتهى كل شئ وانصرف الناس وجاء الرجل إليّ يتقاضى الروبيات التسع فاعطيته إياها وأنا اقول في نفسي: لئن فاتنا الاستمتاع لم يفتنا الإطلاع .

يوم الأربعاء ١٣ محرم ١٣٩٩هـ ، ١٣/١٢/١٩٧٨م .

مغادرة كلكتا :

عدا جولة قصيرة فإنني لم ابرح الفندق هذا الصباح وفي الساعة الحادية عشرة ذهبت إلى مكتب الاستقبال في الفندق فرأيت فيه فتاة ممشوقة القوام كأنما هبطت إلى هذه المدينة من عالم آخر لعله يكون في الشمال وسألته قائلاً: أنتم ذكرتم في التعليمات التي في الغرفة أن الخروج من الغرفة يكون في الثانية عشرة ظهراً وأنا سوف أغادر الفندق في الواحدة بعد الظهر فهل يمكنني أن اظل حتى الواحدة ، فأجابني: لا ، إن معنى كلمة ظهر هو الثانية عشرة وإذا بقيت إلى الواحدة فإنهم

يحبسون عليك أجرة نصف يوم فقلت لها: معنى هذا انهم سوف يأخذون مني مائتي روبية مقابل البقاء في الغرفة ساعة واحدة؟ قالت: نعم!

فذهبت إلى الغرفة واعدت حقائبي للسفر ونزلت قبل الثانية عشرة بدقيقة وقلت لعامل في الفندق احرس حقيبتي الكبيرة حتى افرغ من غدائي في مطعم الفندق في الساعة الواحدة ولك مني خمس روبيات ففرح وقال: لك ذلك على.

وذهبت إلى المطعم فجلست في ركن منه أتغدى ثم اشرب الشاي حتى حان الموعد وعندما عدت رأيت العامل يرقب مجيئ من بعيد لاطمعاً في الروبيات الخمس فقد حصل عليها وإنما طمعاً في المزيد إلا أن موظفاً من الفندق منعه من أن يمضي معي بحقيبتني إلا بعد الإذن من خازن الفندق وذهب ليحصل على الإذن ولكن الخازن منعه من ذلك إلا بعد أن أجيء إليه بنفسي ويعرف أنني صاحب المتاع لأنني أنا الذي سلمته أجرة الغرفة وعندما ما رأيته أو ما برأسه إلى الحامل أن لا لباس .

وهذه طريقة عندهم جيدة للاحتياط لصاحب المتاع إذ ربما كان الذي ادعى أنه صاحب الامتعة غيري ولو لم يرني الخازن لكان ذهب به .

وعلى ذكر الخازن أقول : إنني أتيتّه وقلت له: إنني أريد الدفع فطلب مني أربعمائة وعشر روبيات للغرفة عن ليلة واحدة ، وهذا مبلغ كبير يساوي سبعة وعشرين جنيهاً استرليناً ونصفاً أو اربعة وخمسين دولاراً وبخاصة أن الفندق ليس من فنادق الدرجة الممتازة ، ولكن هكذا كلكتا كل شيء فيها يحاول أن يجعل المرء لا يفكر في العودة إليها مختاراً .

وحمل العامل الأمتعة وخرج من الفندق ونادى سائق أجرة فأسرع وكان هذه المرة فتى ليس عليه ملامح أهل كلكتا وقبل أن اسأله عن حاله؟ سألتني هو: أنت عربي؟ قلت: نعم من أين عرفت؟ قال: رأيت بعض العرب وأنا من (بنته) عاصمة ولاية بهار .

ولما رأيته يلح على صاحبي عربات الركشا من المشاة الحفاة ويكثر من ازعاجهم ببوق سيارته قلت له: يا هذا إن هؤلاء قوم فقراء يستحقون الرحمة فافرق بهم ، فقال: الفقراء كثيرون في هذه المدينة إنهم ملايين فكيف ترحمهم كلهم؟



مسجد جامع في كلكتا

واخذ يخرق بسيارته شوارع المدينة الكبيرة وهو لا يكف عن الثرثرة بلغة انكليزية جيدة، وهذا شئ ممتع لي إذ أبغض شئ إلي أن ابتلى برفيق صموت لأنني لا استفيد منه شيئاً حتى قاربنا أن نصل المطار ووصلنا إلى بعض العمارات الحديثة قال: إنها للجيش وقد لاحظت أن أكثر البنايات في كلكتا كثيفة المنظر إذ قل أن تجد عمارة ذات طلاء بهيج بل قل أن ترى عمارة يخيل إليك أنها جديدة وربما كانوا لا يهتمون بالمظهر كثيراً.

هذا وقد وصلت المطار بعد خمسين دقيقة من مغادرة الفندق وكان من أهم ما استرعى انتباهي عدا

مناظر الناس التي اصبحت لا تستوقف النظر أشياء نشرت على الحشيش كأنها قطع الحصير سألت عنها فقالوا: إنها رقائق الخشب تجفف في الشمس ثم تنقل لتصنع منها أعواد الثقاب. وعدد من الابقار التي تأكل من الحشيش الذي زرعه البلدية أو قل لاحظته البلدية وما من أحد ينتهر تلك الابقار أو يصدها عما ارادت لأن البقر معظم عندهم.

وكان المطار كما قلت سابقاً صغيراً بالنسبة إلى حجم المدينة التي يخدمها التي يبلغ عدد سكانها اثني عشر مليوناً والحركة عليه أقل من ذلك وذكرت بهذه المناسبة مطار هلسنكي عاصمة فنلندا التي لا يزيد سكانها على نصف مليون شخص عند مازرتها قبل سنتين وكان مطارها أوسع من هذا المطار أضعافاً مضاعفة وكان الذين يستعملونه يركبون منه أو ينزلون فيه أكثر من الذين يستعملون مطار كلكتا

هذا اضعافاً أكثر من ذلك ، والفرق بين الاثنين هو الفرق بين الناس في البلدين فأولئك قوم متعلمون يقدمون للحياة كثيراً من العمل ثم يستعملون كثيراً من وسائل الحياة ، وهؤلاء الهنود قانعون بما هم فيه يقدمون اليسير من العمل ، إما اليسير كيفاً أو اليسير مقداراً ، ويقنعون بما يتمتعون به من الحياة على مقدار ما يبذلون من عمل .

إلى بنجلاديش

مقدمة مختصرة

تقع بنجلاديش في شبه القارة الهندية وتحيط بها الهند من جهات ثلاث هي الغرب والشمال والشرق ماعدا جزءاً صغيراً من هذا الاتجاه الشرقي واقعاً في جنوبه فإن لها فيه حدوداً مع بورما كما يحدها من الجنوب خليج البنغال وتبلغ مساحتها ٥٥,٦٠٠ ميل مربع ومجموع سكانها ٨٩ مليون نسمة تبلغ نسبة المسلمين فيهم ٨٦٪.

وكانت جزءاً من الهند التي كان الانكليز قد استعمروها وقد كانت بلاد البنغال مركزاً من مراكز الانكليز المهمة التي انطلقوا منها إلى استعمار داخل الهند، فكان الحاكم العام للاستعمار الانكليزي، يقيم هناك وخصوصاً في مدينة كلكتا التي بنيت في عهدهم واتخذوها مركزاً لحكم ما حولها وميناء مهما فبدأت العمارة فيها تتطور باطراد حتى أصبحت أكبر مدن الهند على الاطلاق.

وعند تقسيم القارة بين الهند وباكستان عام ١٩٤٧م أصبحت (بنجلاديش) هي الجزء الشرقي من باكستان وأطلق عليها اسم (باكستان الشرقية).

وفي عام ١٩٧١م انفصلت عن باكستان وألفت دولة (بنجلاديش) المستقلة لأسباب يطول شرحها من أهمها سوء السياسة في باكستان الغربية، وتعاون أعداء الإسلام، وفي مقدمتهم الهند على فصلها من أجل إضعاف باكستان وبالتالي إضعاف المسلمين في القارة الهندية.

خلفية تاريخية :

ليس كتابنا هذا كتاب تاريخ ولكنه كتاب رحلة ومشاهدات ومع ذلك أحببت أن أنقل هنا نبذة مختصرة عن تاريخ بلاد البنغال التي كانت تسمى جميعاً (بنغالة) قبل استقلال الهند وما سبقه وذلك من كتاب «الهند في العهد الإسلامي» للسيد عبدالحى الحسني والد العلامة السيد ابي الحسن الندوي قال :

ملوك بنغالة :

فتحها عز الدين محمد بن بختيار الخلجي بأمر قطب الدين أيك ، لعله سنة تسع وتسعين وخمسمائة ، ومات سنة اثنتين وستمائة ، وولي الملك مكانه محمد شيران الخلجي ، وانطلق «علي مردان» أحد الأمراء إلى دهلي ، وتقرب إلى قطب الدين أيك ، فاستعمله على بنغاله ، فرجع ، وقاتل محمد شيران المذكور ، فسار إلى أودية الجبال فلم ير له عين ولا أثر ، وتولى المملكة على مردان ، وضبط البلاد .

ولما مات قطب الدين أيك المذكور بدلهي ، استقل بالملك ، أي في بنغالة ولقب نفسه علاء الدين ، مات سنة تسع وستمائة ، فاتفق الناس على عوض بن الحسين الخلجي ، فلقب نفسه غياث الدين ، وبنى جسراً كبيراً من لهنوتي إلى لهنور ، وفي الشعبة الغربية من نهر «گنگا» ، ومن جانب آخر إلى «ديو كوث» في الشعبة الشرقية ، كانت مسيرة عشرة أيام ، فاستراح الناس به .

وبعث إليه شمس الدين الأيلتمش السرايا غير مرة ، ثم سار بنفسه سنة اثنتين وعشرين وستمائة ، واصطالحا على مال يؤديه ، وقبض على «بهار» ، ثم سير ولده ناصر الدين محمود سنة أربع وعشرين وستمائة بعساكره العظيمة ، فقاتله ، وانهزم منه غياث الدين وقتل ، وتولى المملكة ناصر الدين محمود بن أيلتمش ، ولم تجاوز أيامه سنتين ، مات سنة ست وعشرين وستمائة ، فسار أيلتمش إلى «بنغالة» سنة سبع وعشرين ، وأصلح الفاسد ، ثم استعمل علاء الدين خان المشهور بعزة الملك ، فتولى المملكة ثلاث سنين ، ثم ولي سيف الدين الترك ، فاستقام بها ثلاث سنين ، ثم ولي عز الدين طغانخان ، وامتدت أيامه إلى ثلاث عشرة سنة .

وفي أيامه قدم التتر من طريق «تبت» إلى «بنغالة» سنة اثنتين وأربعين وستمائة ، فبعث إليهم السلطان علاء الدين مسعود الدهلوي قره بيگ تيمور خان بعساكره العظيمة ، فقاتلهم قتالاً شديداً ، وأخرجهم من تلك البلاد ، فاستعمله السلطان المذكور على «بنغالة» فتولى المملكة عشرة أعوام ، ثم استعمل عليها ناصر الدين محمود الدهلوي جلال الدين خان أحد أركان الدولة ، ولم يلبث بها إلا سنة واحدة ، ثم عزل ، وولى مكانه أرسلان خان ، لعله سنة ست وخمسين وستمائة ، فتولى المملكة زماناً ، ثم تولى ولده تاتار خان ، ولم يزل أميراً على تلك البلاد إلى

عهد غياث الدين بلبن الدهلوي ، ثم ولي طغرل ، فضبط البلاد ، وسار بعساكره إلى جاجنغر ، وغنم أموالاً وفيلة ، وأظهر العصيان على بلبن ، ولقب نفسه مغيث الدين سنة ثمان وسبعين وستمائة ، فبعث إليه غياث الدين بلبن السرية ، وأمر عليها «الپتکين» أحد كبار الأمراء ، فقاتله ، وانهزم منه ، فسار إلى بلبن بعساكره العظيمة ، وقاتله ثم قتله ، واستعمل على «بنغاله» ولده ناصر الدين محمود المشهور ببغرا خان ، فتولى المملكة زماناً ، ولما مات أبوه غياث الدين ، وولى بعده معز الدين بن ناصر الدين المذكور بدھلي ، توجه لقاتله ، والتقى بالنهر ، وسمى لقاءهما «قران السعدين» ، وقد ذكرنا ذلك عند ذكر السلطان معز الدين ، فترك السلطنة لولده ، وعاد إلى «بنغاله» ، وتوفي بها سنة إحدى وتسعين وستمائة .

ثم ولي ابنه ركن الدين ، ومات سنة اثنتين وسبعمائة ، ثم ولي صنوه شمس الدين ، وامتدت أيامه إلى عشرين سنة ، مات سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة ، فولى ابنه شهاب الدين ، وخرج عليه أخوه غياث الدين ، واستقل بالملك ، فذهب شهاب الدين إلى دھلي ، واستنصر بغياث الدين تغلق ، فنصره ، وولاه مكان أخيه ، وأخذ غياث الدين أسيراً .

ثم لما ولي الملك محمد شاه بن غياث الدين تغلق بدھلي ، أطلق غياث الدين على أن يقاسمه ملكه ، فنكث عليه ، فقاتله حتى قتله ، واستعمل على «بنغاله» أحد أمرائه ، لعله تاتار خان ، فقتله العسكر ، واستولى على ناحية لكهنوتي «علي المبارك» ، وخالفه «فخر الدين» بسد كانوان ، واستقل بالملك ، واشتدت الفتنة بينهما ، ثم خرج على علي المبارك الحاج إلياس ، وغلب عليه ، وقتله ، وولى الملك ، ولقب شمس الدين ، ومات فخر الدين ، فولى بعده اختيار الدين بسد كانوان واستقل بها سنتين .

ثم غلب شمس الدين المذكور على سائر البلاد وبني بلدة حاجة پور في بلاد ترهت ، ونقل مركز الحكومة من «سنار كاؤن» إلى «پندوه» ، وسار إليه فيروز شاه الدهلوي بعساكره وقاتله ، فخرج شمس الدين إلى قلعة «اكداله» وتحصن بها ، ولما رجع فيروز شاه عاد إلى «پندوه» ، وضبط البلاد مرة ثانية ، وأرسل إلى فيروز شاه هدايا جميلة ، مات سنة تسع وخمسين وسبعمائة ، وكانت مدته ست

عشرة سنة وبضعة أشهر، ثم ولي ابنه اسكندر شاه، وأرسل إلى فيروز شاه الدهلوي أموالاً وفيلة، واستقل بالملك تسع سنين، ثم ولي ابنه غياث الدين، واستقل بالملك سبع سنين وبضعة أشهر، مات سنة خمس وسبعين وسبعمائة، وكان من خيار السلاطين.

ثم ولي ابنه سلطان سيف الدين، ولقب نفسه سلطان السلاطين، واستقل بالملك عشر سنين وبضعة أشهر، مات سنة خمس وثمانين وسبعمائة، وكان على قدم أبيه في الشجاعة والكرم، وتأليف القلوب، وإرضاء الناس.

ثم ولي ابنه شمس الدين، وكان خفيف العقل، فغلب عليه «راجة كنيش» الوثني أحد أمرائه، فلما مات شمس الدين سنة سبع وثمانين وسبعمائة، استقل بالملك، وامتدت أيامه إلى سبع سنين، ثم ولي ابنه «جيت مل»، وأسلم بمحضر من الأمراء، ولقب نفسه جلال الدين وكان عادلاً كريماً، ونقل مركز الحكومة من «پندوه» إلى «كور» وامتدت أيامه إلى سبع عشرة سنة، مات سنة اثنتي عشرة وثمانمائة.

وولي أحمد شاه واستقل بالملك مدة، مات سنة ثلاثين وثمانمائة، وولي بعده ناصر الدين شاه بهكره من سلائل الملوك الماضية، وامتدت أيامه إلى اثنتين وثلاثين سنة، مات سنة اثنتين وستين وثمانمائة.

ثم ولي ابنه باريك شاه، واستقل بالملك سبع عشرة سنة ومات سنة تسع وسبعين وثمانمائة، ثم ولي ابنه يوسف شاه، وكان من خيار السلاطين، عادلاً فاضلاً، كريماً، امتدت أيامه إلى سبع وثمانين سنة، مات سنة سبع وثمانين وثمانمائة، ثم ولي ابنه فتح شاه، وكان عالماً خبيراً بدقائق الأمور، أحسن إلى الناس، وأصلح الفاسد من الأحباش، الذين كانوا متغلبين على الدولة، فنقموا عليه وقتلوه، سنة ست وتسعين وثمانمائة.

ثم ولي بعده قاتله «باريك»، وكان عبداً حبشياً، فلم تمتد أيامه من ثمانية أشهر، فقتله «اندل» الحبشي، واستقل بالملك، ولقب نفسه فيروز شاه، ومات سنة تسع وتسعين وثمانمائة، ثم ولي ابنه محمود شاه، وقيل إنه كان ولد فتح شاه المذكور، وكانت الوزراء متغلبة عليه، حتى قتله «بدر» الحبشي، واستقل بالملك،

ولقب نفسه مظفر شاه، ومدته ثلاث سنين وخمسة أشهر، ثم قتله السيد الشريف حسين بن أشرف الحسيني المكي، كان وزيراً له، واستقل بالملك، ولقب نفسه علاء الدين، وكان من خيار السلاطين، امتدت أيامه إلى بضع وعشرين سنة، مات سنة سبع وعشرين وتسعمائة، ثم ولي ابنه «نصرة»، وأحسن إلى إخوته، مات سنة ثلاث وأربعين وتسعمائة، وولى بعده ابنه محمود شاه، وخرج عليه شير شاه السوري، وأخرجه من بلاده، فذهب إلى دهلي، واستنصر بهمايون بن بابر التيموري، فسار همايون بعساكره العظيمة إلى «بنغاله» سنة خمس وأربعين وتسعمائة، وقاتله ثم هزمه، ولما رجع من تلك البلاد إلى آكره، اختطفها شير شاه مرة أخرى، وولى على ملك البلاد خضر خان أحد أمراء الدولة، وبعد زمان يسير عزله، وولى محمد خان السوري، فاستقام له الأمر إلى آخر عهد سليم شاه، ولما مات سليم شاه المذكور، ولي ابنه، ثم قتله محمد شاه العدلي، واستقل بالسلطة، خرج عليه محمد خان المذكور، وقاتله، وقتل في المعركة، فقام مقامه ابنه سليم خان، وقيل اسمه خضر خان، ولقب نفسه بهادر شاه، فاستقام له الأمر ست سنين.

ثم ولي الملكة صنوه جلال الدين، واستقام له الأمر خمس سنين، ثم ولي ابنه، وقتل بعد سبعة أشهر من ولايته، وتغلب قاتله غياث الدين واستقل سنة، ثم قتله تاج خان كراني، فضبط البلاد، وأحسن إلى الناس، واستقل بالملك تسع سنوات، ثم ولي صنوه سليمان الكراني، واستقل بالملك خمسا وعشرين سنة، وكان من خيار السلاطين، مات سنة إحدى وثمانين وتسعمائة، ثم ولي ابنه بايزيد خان، ثم أخوه داود خان، ووقع الإختلاف بينه وبين لودي خان أحد الأمراء، فأدى إلى انقراض ملكه، وانتقال الدولة منه إلى أكبر شاه التيموري سنة ثلاث وثمانين وتسعمائة.

آخر ما ذكره السيد عبدالحی .

من كلكتا إلى دكا :

هذا المطار الذي نحن فيه الآن وهو مطار كلكتا واقع في بلاد البنغال الغربي، وولاية البنغال الغربية التي عاصمتها كلكتا والمطار الذي سننزل فيه بعده وهو مطار (دكا) واقع في البنغال الشرقي كما كان يسمى في زمن الانكليز، ثم صار يسمى باكستان الشرقية بعد تقسيم القارة الهندية بين الهند وباكستان .

ثم أصبح اسمه (بنجلاديش) التي معناها (بلاد البنغال) بعد أن انفصل عن باكستان وأعلن نفسه دولة مستقلة كما سبق وكان من الناحية التاريخية جزءاً من البنغال ولا يزال من الناحية اللغوية كذلك .

وبذلك تكون الحركة كلها داخل منطقة واحدة هي المنطقة البنغالية من الهند القديمة غير أن أغلبية السكان في البنغال الشرقي الذي أصبح يسمى الآن «بنجلاديش» تدين بدين الإسلام ولذلك صار جزءاً من باكستان بعد تقسيم الهند إلا أن سوء الإدارة الباكستانية وغلبة الثقافة الهندوكية البنغالية التي من أهمها كون اللغة البنغالية هي السائدة في تلك المنطقة واستغلال الأهالي الذين خدعوا بالوطنية البنغالية، وقيام الهند الحاقدة على الإسلام، والمعادية لباكستان وتأييد القوة الخارجية بل اجتماع القوتين الخارجيتين العظميين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي على تأييد الهند ضد باكستان كل ذلك جعل هذا الجزء الغالي من الوطن الباكستاني أو قل من الوطن الإسلامي الكبير في القارة الهندية ينفصل عن شقيقه باكستان الغربية ويقلب اسمه إلى الاسم الهندي القديم : بلاد البنغال .

وبذلك أصبح أهله تحت رحمة الهند تؤثر فيهم ما ارادت ان تؤثر سواء بالتأثير الباطن أو الظاهر .

قامت الطائرة الهندية من طراز بوينج ٧٣٧ من مطار كلكتا في الساعة الرابعة والدقيقة الأربعين واعتذرت عن هذا التأخير بلسان مضيفتها - كما هي عاداتها - وأعلنت المضيئة أن الرحلة ستستمر ثلاثين دقيقة اي : نصف ساعة فقط بين المدينة البنغالية الكبيرة الهندوكية (كلكتا) وبين المدينة البنغالية الصغيرة المسلمة (داكا) التي يبلغ من صغرها أن سكانها لا يزيد عددهم على مليونين من البشر إلا زيادة طفيفة ربما كانت مائتين أو ثلثمائة ألف من السكان وهذا هو شأن الهند وهذا من عجائبها فالبشر يعدون بالملايين وحاجاتهم أو ما يكتفون به من الدنيا من حاجات تعد بالآلاف إن صح هذا القياس وهو صحيح بالنسبة إلي غيرهم من البشر في البلاد التي تعد متقدمة في النواحي المادية .

نهضت الطائرة والشمس قد قاربت المغيب إذ تغيب في كلكتا في هذه الايام من فصل الشتاء الذي هو بفصل الصيف اشبه في البلاد العربية الشمالية في الساعة الخامسة .

وكان أهم ما يلاحظه المرء وهو ينظر بعينه بعد أن استقلت الطائرة عن الأرض وقبل أن ترتفع كثرة المياه في الأرض التي هي تشبه الفيضانات وكثرة المجاري وكثرة العمارة، بل العمارة المطبقة.

ثم ارتفعت الطائرة فأصبحنا نرى ما يشبه الدخان على الأرض اعتقد أنه ناشئ عن كون معظم الأهالي يوقدون على عشائهم بالحطب إذ هو الوقود الرئيسي عندهم.

وكانت ضيافة الطائرة كيساً صغيراً فيه قليل من النُّقل المسمى (كاجو) ومعه كأس من عصير الفاكهة وذلك أمر معقول بالنسبة إلى هذه المسافة القصيرة.

وعندما بدأت الطائرة بالتدنى إلى الأرض مقتربة من مطار داكا ظهرت المستنقعات ومسايل المياه والأنهار أكثر وأوضح منها في الهند فأنت إذا رأيتها خُيل اليك انك تشرف على أرض قد غمرها الفيضان.

مطار داكا :

نزلت الطائرة فيه وسط جو لطيف ألطف من جو كلكتا لاتحس فيه شيئاً من الحر مطلقاً وكان أهم ما لفت نظري في بناء المطار كتابة عليه بالعربية «مطار داكا الدولي» وعليه العبارة نفسها بالإنكليزية، وكتابة بالبنغالية ربما كانت كذلك ولا أدري هل ذلك قبل الانفصال عن باكستان أو بعده أي كتابة هذه العبارة بالعربية. أول ما دخلنا مبنى المطار رأينا عند بابه الداخلي رجلاً يعطي بطاقات للجوازات ورجلاً آخر يعطي بطاقات اصغر متعلقة بالصحة.

وعندما ملأت البطاقات ورأها الموظف ابتسم مستغرباً ولكنه لم يقل شيئاً ومصدر استغرابه هو قلة السعوديين القادمين إلى هذه البلاد.

وصلت إلى موظف الجمرک ورأى جوازي سياسياً وحقيقتي كبيرة ثقيلة أشار إليها قائلاً: ماذا تحتوي؟ فقلت: كتباً وأوراقاً وثياباً لي خاصة، والحقيقة أن الأمر صحيح فالتياب لمتلي مشكلة إذ عليّ أن آخذ معي ثياباً عربية كافية بما فيها العباءة للحفلات والمقابلات الرسمية وعليّ أن آخذ معي ثياباً أجنبية لغير ذلك فرسم عليها علامة التفتيش ومضيت.

كانت المشكلة ليست مشكلة النقل فقد التف عليّ طائفة من الناس ينادون: تاكسي، تريد تاكسي؟ ولم استطع أنا ولا الرجل الذي يحمل أمتعتي أن نتجاوزهم إلاّ بصعوبة، وبعد أن قلت لواحد منهم؛ نعم تاكسي، حمل حقيبتي اليدوية وأزاح المتجمعين عن الطريق وكان قد قال لي اتريد تاكسياً، صغيراً أم كبيراً؟ ولما كنت وحدي قلت له: بل صغير فوصلنا إلى (تاكسيه) وإذا به عربية من عربات الركشا ولكنها كالموجودة في باكستان والصومال وعدد من البلدان بل حتى في سوريا هي موجودة وان كانت لا تستعمل لحمل الناس وهي العربية النارية ذات العجلات الثلاث اثنتان في المؤخرة وواحدة في المقدمة وفيها صفان من المقاعد احدهما الأمامي يتسع لراكب واحد، والثاني الخلفي يتسع لثلاثة أشخاص.

ولم استطع الانفكاك منه وقلت: لا جرب هذا (التاكسي) الصغير كما قال، والوقت ليل، ولا أحد يعرفني وظننت في ذهني أن ركوب مثل هذه العربية مما ينزل من قدر المرء في نفوس من يرونه ولكن تبين بعد ذلك أنه مما يشرفه بالنسبة إلى العربية الأخرى الهوائية التي يقودها الرجل برجليه والتي هي بطيئة الحركة.

ولم يكن معي عملة بنغالية، فسألت السائق أن يعطي الحامل خمس روبيات فقال: خمس تاكات فقلت: نعم وأنا لا أدري الفرق بينها وبين الروبيات إلا أنني حسمت الأمر مع السائق بأن عليه أن يوصلني إلى فندق انتركونتنتال بعشرة تاكات فقبل.

وانطلق السائق بعربته وسط شارع عريض جميل، وبين مارة هم ومن في المطار إذا قارنتهم بمن يفترض انهم من جنسهم من البنغاليين في كلكتا رأيت هؤلاء انظف ثياباً، وأبداناً، وأكثر صحة، وأندى اجساماً، وهذا الشارع لا يوجد له نظير في كلكتا من حيث النظافة والتنسيق والذوق الفني.

وسرعان ما وصل السائق إلى الفندق فاعطيته زيادة خمسة تكات على حقه فشكر ذلك وقال: السلام عليكم.

سألني موظف الاستقبال في الفندق: الك حجز سابق؟ فقلت: لا، فسكت قليلاً ثم اعطاني غرفة في الطابق العاشر وقال عامل الفندق الذي حمل امتعتي إلى الغرفة: من أي بلد أنت؟ فأنت مسلم قلت: أنا مسلم والحمد لله، وأنا عربي فقال: من أي بلاد العرب؟ قلت: من المملكة العربية السعودية: أيا تيكم عرب ههنا؟ قال: أما من السعودية فلا وأما من بلد كذا، وبلد كذا، وذكر بلدين عربيين فإنهم يأتونا ولكنهم ليسوا طيبين وزم شفيته علامة الاشمنزاز وهو يقول: إنهم يشربون الخمر.

واسرعت إلى النزول في الفندق لرؤية ما فيه، فإذا بي أول ما أرى عدة حوانيت منها مكتبة ومكاتب لشركات الطيران ومكاتب سياحية ثم حانة اي: بار كتب عليه أنه يغلق يوم الجمعة.

ثم رأيت بركة للسباحة ليس فيها سباحون لأن الوقت ليل وإنما احاطوها بأنوار جميلة نثرت بينها الموائد وعلى بعضها أناس يأكلون واردت الدخول لتناول شيء خفيف من الطعام في هذا الهواء الطلق ولكن رجلاً عند الباب اعترضني قائلاً: أتيت هنا لتتعشى؟ فقلت له: إنني أريد أن أكل شيئاً خفيفاً: فقال ذلك يكون في (كوفي شوب) أي في المقصف وان كانت ترجمتها الحرفية حانوت القهوة.. ولكنها تطلق اصطلاحاً على المقصف الذي يقدم مأكولات خفيفة على مدار الوقت أو أكثر الوقت من الليل والنهار.

وكان ذلك في حانوت القهوة.. وطلبت سمكا وبطاطس مقلية فجاءوا به سخياً لا كما هو في الهند مقتر فيه تقتيرا وكان ثمنه مع حساء أي شربة من شراب الخضروات (٤٠) تاكا والتاكا ولا أدري حتى الآن اهو مذكر أم مؤنث، يساوي الروبية السيلانية تماما بدون زيادة ولانقص ذلك ما عرفته اليوم من البيان الذي رأيته معلقاً في الفندق لبيان صرف العملات الرسمية فالدولار الأمريكي يساوي خمسة عشر وزيادة قليلة والجنيه الاسترليني يساوي ثلاثين تاكا وعلى هذا يكون الريال السعودي بحوالي خمسة تاكات وتكون هذه الوجبة الخفيفة السخية بثمانية ريالات في هذا الفندق الذي جميع من فيه من الاجانب من الأوروبيين والأمريكيين وقليل من اليابانيين.

يوم الخميس ١٤ محرم ١٣٩٩هـ ١٤/١٢/١٩٧٨م

في السفارة السعودية :

رغم كون السفارة قد تلقت برقية من رابطة العالم الإسلامي بأنني سوف اصل ، ورغم كون السفير السعودي هو الاستاذ/ فؤاد الخطيب وهو صديقي وكان ممثلاً لوزارة الخارجية في اللجنة التحضيرية للدعوة التي تنعقد برئاسة الأمين العام للدعوة وأنا أشغل هذه الوظيفة وذلك قبل أن يكون سفيراً في هذه البلاد فإنني لم ابرق له بوصولي إلى دكا لأنني لا أحب أن اتعب احداً من جهة ولأنني احب أن أرى الناس كيف يستقبلون المسافرين القادمين إلى بلادهم دون تصنع أو مجاملة لشخص دون شخص من جهة أخرى .

وفي هذا الصباح ركبت سيارة أجرة ووصلت السفارة فوجدت بابها مغلقاً وعليه من الخارج جندي حراسة وهذا هو الباب الخارجي وفي الداخل هناك حارس مدني هو شيخ يبدو مسناً بعض الشيء ظاهر ذلك من بياض لحيته ، فكلمته من وراء شباك الباب وقلت له: افتح لي فلم يعرف ما اقول إذ كان لا يتكلم الانكليزية ولا العربية فقلت له: أرسل من السفارة من يتكلم العربية فغاب ثم جاء وقد رأيته راجع موظفاً محلياً ومعه ورقة صغيرة قال: يقول لك الموظف: اكتب اسمك في هذه الورقة ، فقلت له: لا ضرورة لذلك بل خذ جوازي وأره المسؤول ، فأخذه ثم عاد وقال: اذهب مع الباب الآخر ففتح لي واستقبلني رجل بنغالي يتكلم العربية بصعوبة ، ورحب بي .

ولما سألته عن السفير قال: إنه سافر إلى المملكة منذ يومين ، قلت له: ومن القائم بالأعمال في غيابه؟ قال: هو علي محمد الشاذلي ، قلت: هذا جيد أخبره بوجودي فهو يعرفني وتذكرت أنني قد تعرفت عليه منذ ثمان سنوات وذلك في عام ١٣٩٠هـ عند ما امر الملك فيصل بن عبدالعزيز رحمه الله بأن اذهب ممثلاً للمملكة في المؤتمر الأول للمنظمات الإسلامية في أمريكا الجنوبية الذي عقد في البرازيل وأن ينضم إليّ عضو من السفارة السعودية في فنزويلا وكانت هي السفارة الوحيدة للمملكة في أمريكا الجنوبية في ذلك الوقت فأرسلت السفارة الأخ علي محمد الشاذلي هذا فلبثنا معا فترة في البرازيل تعارفنا خلالها ولم اره بعد تلك المدة

وقال الموظف: إنه غير موجود الآن لأنه في زيارة لوزارة الخارجية وسيأتي بعد قليل.

وبعد قليل عاد، ولما أخبره بقدومي جاء جزاه الله خيرًا، ورحب وقال: لقد جاءتنا برقية بأن ننتظر برقية من مدراس وكلكتا تحدد موعد وصولك حتى نستقبلك في المطار فكيف تأتي وحدك ولا تخبرنا؟ حتى المرافق الذي سيرافقك في هذه البلاد قد عيناه قبل وصولك وأخبرناه ليكون في استقبالك في المطار.

فشكرته وقلت له: لا داعي لكل هذه الشكليات والمهم أنني وصلت ورأيتم وأرجو أن أرى ما تهمني في هذه البلاد رؤيته ولو كان ذلك خلال أيام ثلاثة، إذ لا أستطيع أكثر من ذلك.

ثم وضع الأخ علي برنامجاً للزيارة لطيفاً يشتمل على ما أريد الاطلاع عليه وبخاصة السفر إلى أقصى الحدود الجنوبية الشرقية مع بورما والاطلاع على أحوال المسلمين البورميين الفارين من بورما إلى البنغال المسلمة ثم قال: وهذه السيارة مع سائقها تحت طلبك.

تدارسنا الأوضاع العامة في هذه البلاد بصفة عامة والأوضاع الإسلامية بصفة خاصة وكان حاضراً من السفارة الأخ حمزة.

وبعد ذلك عدت إلى الفندق على أمل البدء في تنفيذ البرنامج المقرر وكان الطريق بين الفندق والسفارة يبلغ حوالي ٨ كيلات كله داخل ضواحي مدينة داكا إلا أن تلك الضواحي متفرقة متباعدة وليست بيوماً متلاصقة حتى إنه كان يوجد بينها بعض المستنقعات التي تحفل بالمياه ويزرع في اجزاء منها الأرز ويربى في أجزاء منها السمك وهذه المستنقعات تتألف من حفر واسعة أعدت لهذا الأمر وهي في الحقيقة جزء من المستنقعات الشاملة التي تحيط بالعاصمة، وتغطي مساحة كبيرة من أرض البنغال القريبة من البحر.

أما الطرق التي مررنا بها فإنها جيدة جداً بالنسبة إلى الطرق الموجودة في الضواحي الهندية للمدن الرئيسية ولا يفضلها إلا أجزاء معينة في مدينة دلهي العاصمة وسوف نلاحظ أن الأحياء الحديثة من مدينة داكا العاصمة احسن من الأحياء الحديثة في المدن الهندية.

مع رئيس جمعية المساجد :



الدكتور مستفيض الرحمن مع السفير السعودي

بعد الغداء مباشرة كان يزورني في الفندق شخصان أحدهما الدكتور محمد مستفيض الرحمن وهو أستاذ في قسم اللغة العربية والثقافة الإسلامية في جامعة داکا ورئيس جمعية المساجد في بنجلاديش وتسمى «بعثة المساجد» وهو الذي عينته السفارة ليكون مرافقاً لي في داکا وما حولها وقد جاء كما يقول للسلام والعمل في كيفية تنفيذ البرنامج والثاني الأخ مير قاسم وهو مندوب لرابطة العالم الإسلامي في تنفيذ أعمال إغاثة اللاجئين المسلمين البورميين في بنجلاديش وأهم مايريد بحثه هو تفصيل برنامج زيارة المنطقة الجنوبية الشرقية والحدود البورمية وكنت قد وافقت أولاً على أن تكون الزيارة بالسيارة لأن المسافة كلها لا تزيد على مائتي كيلو متر ولكنهم قالوا إن السيارة لا تستطيع قطع هذه المسافة إلا في ثمان ساعات، وإن الطريق متعب وليس كطرق المملكة ووصفوا حاله بما عرفته من حال الطرق الهندية فعدلت عن ذلك إلى طريق الجو على أن اخترق المسافة في الإياب من بلدة كوكس بازار إلى مدينة شيتاكنج بالسيارة حتى يمكنني الإطلاع على طبيعة

الأرض والسكان ويكون ذلك كافياً بمثابة النموذج لغيره ، وقال لي الرجلان وقبلها قال لي إخواني في السفارة إنك إذا صبرت على قطع هذه المسافة من تلك البقعة النائية في بنجلاديش فإنك تعتبر ذا حظ عظيم من الصبر .

جولة في مدينة داكا :

كانت الجولة بسيارة السفارة وهي سيارة جديدة من طراز (مرسيدس) مكيفة الهواء مع أن الهواء هنا معتدل لأن الفصل الآن فصل الشتاء فنحن قد فارقنا البلاد الاستوائية أو القريبة من خط الاستواء منذ أن فارقنا مدينة مدراس في الهند، إلا أن الجو هنا مع ذلك ليس بارداً وإنما شتاءهم هو الذي لا يكون فيه حر وهو شبيه بجو كلكتا إلا أنه أكثر جفافاً والطف نسима وذلك لبعد داكا عن البحر ولا ارتفاعها ارتفاعاً نسبياً بالنسبة إلى كلكتا .

بدأت الجولة من منطقة قرب فندقنا فندق (انتركونتيننتال) وكان سائق السيارة واسمه محمد إبراهيم وهو من أهل البلاد ويجيد الانكليزية يشرح لي كل ما يحتاج إلى شرح وقد مررنا بعدة مستشفيات ثم بالمكتبة العامة وبعض مباني جامعة داكا ثم مساكن الطلاب والمدرسين فيها .

وقد بهرني في هذه المدينة الإسلامية مستوى النظافة العامة فيها والذوق العالي في تخطيط شوارعها وتنسيق حدائقها، والمباني الحديثة البهيجة المنظر التي لا يكاد يوجد لها مثيل في كثير من المدن الهندية، وبخاصة إذا قورنت بمدينة كلكتا التي هي من البنغال الذي ينتمي إليه أهل هذه البلاد من حيث الجنس واللغة إلا أنهم يبتعدون عن أولئك من حيث الدين وحتى من المظهر فهؤلاء المسلمون أنظف ثياباً واصح أبداناً، وأكثر نظافة حتى إنك تستطيع أن تقول فيهم بالنسبة إلى بنغال كلكتا ما تقوله في بنغال كلكتا بالنسبة إلى باقي الهنود وهو أنهم منهم ولكن هناك فروقا بينهم وبينهم لا تخرجهم عن أن يكونوا منهم .

ثم مررنا بمجمع حكومي للوزارات وهنا لابد من أن يلفت نظر السائح العابر كثرة عربات الركشا ولكنها ليست كعربات الركشا في كلكتا تلك يجرها آدمي يسير على قدميه وهذه في داكا يحركها آدمي راكب على الدراجة المعتادة أو هي عربة عادية دون محرك ولكنها ذات ثلاث عجلات يركب فوق الامامية اي التي هي

الوحيدة رجل يحرك الدراجة بقدميه ويركب في الخلف الذي يقع فوق العجلتين الخلفيتين راكبان تظلهما مظلة واقية من الشمس تطوى عند عدم الحاجة إليها وهي هنا كثيرة جداً وبجانبها عربة الركشا ولكنها التي تسير بمحرك هو محرك الدراجة النارية لأنها هي الدراجة النارية أعدت اعداداً لهذا الغرض .

وواصلنا الجولة في هذه الشوارع البهيجة المنسقة من المدينة الحديثة في داکا وسألت السائق أهدا كان من زمن باكستان؟ أم حدث بعد الانفصال؟ فأجاب: لا كله كان من زمن باكستان .

قلت ذلك لأنني لاحظت أن بعض التنسيق عليه ملامح ذوق الشرق الأوسط الذي هو موجود في باكستان على مقدار معين ولكن يلفت النظر أن اللغة التي تكاد تكون هنا وحيدة هي اللغة البنغالية بحروفها السنسكريتية غير المتناسقة فيما يظهر للناظر الغريب عنها، ولا يشاركها مشارك إلا الفاظ قليلة من الانكليزية مثل ما يكون لدينا في الرياض بالنسبة لكتابة بعض اللافتات بالانكليزية إلى جانب العربية، وهذا أمر تفارق في بلاد البنغال هذه شقيقتها في الاسم واللغة البنغال الهندية لأن اللافتات في كلكتا تكتب باللغتين البنغالية والانكليزية وأحياناً كثيرة تكون الكتابة بالانكليزية وحدها أما بقية المدن الكبرى في الهند فإن اللغة الانكليزية لاغنى عنها مطلقاً في كتابة اللوحات واللافتات لأنها هي اللغة الوحيدة التي يشترك في دراستها ومعرفة شيء منها كل المتعلمين من أهل البلاد، ولم تستطع اللغة (الهندية) الوطنية وهي مأخوذة من السنسكريتية القديمة أن تحل محلها إلا على نطاق محدود وفي ولايات محدودة .

وقلت للسائق اريد ان اقف في سوق صغيرة لأرى المعروضات فأوقفني في سوق عند مسجد يسمى (بيت المكرم) ولم أدخله لأن زيارته موجودة في البرنامج غداً بصحبة الدكتور مستفيض الرحمن، وإنما دخلت السوق وإذا بالمؤذن يؤذن بمكبر الصوت بصوت جهوري شجي لا لكنة فيه ولا تحريف .

ودخلت السوق فإذا بي اتيقن ان البنغال هذه التي رضيت أو رضي القائمون على امرها بأن تنفصل عن باكستان ليست من البلاد السعيدة في الصناعة والانتاج الزراعي المتعدد الجهات فهذا السوق ليس فيه من صناعات البلاد ولا من انتاجها

الزراعي شئ إلا القليل ومعظم الذي فيه هو انتاج خارجي مستورد حتى اليوسفي الجيد سألت عنه فأجابوا أن الواحدة بتاكين اثنتين وذلك لكونه يستورد من باكستان أو الهند، وكيف يذوقه الناس وهم فقراء وهو بهذه المثابة في الغلا؟

وذلك أن تتصور أن المشوار المتوسط الذي يحملك فيه صاحب العربة (الركشا) إذا كانت عربة من العربات النارية هو بخمس تاكات وإذا كانت عربة عادية هي بتاكين وطبيعي أنه ليس ملزماً بأن يشتري يوسفيا أو برتقالاً، وأن هناك فاكهة محلية يمكنه أن يستعيض عنه بشرائها مثل الموز الذي يوجد في جميع فصول السنة ومثل المانجو التي توجد في فصل الصيف إلا أن ذلك وإن لم يكن غالياً مثل البرتقال المستورد واليوسفي فإنه ليس رخيصاً بالنسبة إلى مستوى الدخول في هذه البلاد.

وكان مما مررنا به عندما استأنفنا الجولة ميدان تتوسطه نافورة على شكل زهرة كبيرة متفتحة بيضاء واوراقها خضراء وارصفة ممتازة وأشياء من المباني والشوارع قل أن يوجد مثلها سواء في اصل تخطيطها أو العناية بها في الهند وقالوا لنا إن كل هذا كان من زمن الاشتراك في الوحدة مع باكستان، ولم يعمل شئ منه بعد ذلك وذلك بأن البلاد لم تنعم بالاستقرار والائتفات إلى تنسيق البلاد وتنظيمها منذ الانفصال إلا منذ سنة واحدة لأنها كانت مشغولة بالاضطرابات السياسية وقتل المخالفين ثم القتل المضاد إلخ.

وأردت أن ادخل البلدة القديمة فقلت للسائق لقد اريتني المدينة الحديثة المنسقة التي يحق للبلدة أن تفتخر بها على مدن الهند الأخرى وبخاصة على البلدة الكبيرة المجاورة (كلكتا) فماذا حول القسم القديم من مدينة دাকা؟ فأجاب إنه ليس طيباً إنه ليس مثل هذا فقلت له: إنني أريد أن اراه فقال : لك ذلك .

فكان أول ما وصلناه على حدودها أي حدود القسم الحديث من القسم القديم محطة لحافلات الركاب وقد ازدحمت فيها وحولها إلى جانب الحافلات اعداد هائلة من عربات الركشا العادية قد سدت الشوارع وإذا بالصخب والاصوات قد اختلطت وإذا بالمرور صعب على من يسير على قدميه فكيف بمن يسير على سيارة جديدة يخشى عليها من العربات وعلى هذه العربات منها .

ولم يكن بد من أن يستعمل السائق بوق سيارته باستمرار ، ويتأنى في مشيته حتى يستطيع أن ينفذ من بين هذا الجمع من عربات الركشا المعتادة التي تنحت عنها حتى العربات الأخرى من الركشا المتخذة من الدراجات النارية وإذا بي أرى سيارتنا تكاد تكون السيارة الوحيدة في هذا الطوفان (الركشاوى) إن صح التعبير لأن هذه العربات هي وسيلة الانتقال الشخصي المفضلة عندهم فهي رخيصة الثمن وسهلة الاستعمال ولا تتطلب وقوداً وتدخل في كل مكان ، وقد خصصت لها الدولة طريقاً جانبياً في شوارع القسم الحديث من المدينة لما لها من أهمية ولما هي عليه من الكثرة .

ودخلنا في معمعة المدينة القديمة ودخل معنا إليها طوفان عربات الركشا والدراجات المعتادة التي تؤجر كما تؤجر السيارات عندنا للركوب .

وإذا بالمدينة القديمة تتألف من بيوت كلها مبنية بالآجر أو بالأسمنت وليس فيها شيء مبنى بالقش أو الأكواخ وأغلبها من طابق واحد وفيها ماهو من طابقين ، وأكثر ما فيها بروزاً المساجد وأكثرها قديم البناء مبنى بالحجارة المنقوشة وعلى طراز إسلامي عريق وليس كيف ما اتفق .

وفي هذه المدينة القديمة اختلط طوفان الدراجات المعتادة وطوفان الآدميين فإذا بجوانب الطريق تزدهم بالشعب الأصيل الذي لا اثر فيه للتفرنج أو التغرب فالشعب هو الشعب الأصيل القديم المحتاج ولكن والحق يقال كلهم من نظيفي الثياب نظيفي الابدان ذوي الأدب فيما بينهم وفي معاملتهم للغريب .

ولا يشذ عن قاعدة النظافة في الابدان إلا العاملون في بعض المهن وقد رأينا في هذا القسم القديم عربات قليلة من التي تحمل الأثقال ويقوم بسحبها الرجال من الحفاة المتسخي الثياب كما في كلكتا ولكن على نطاق ضيق جداً .

أما العربات التي يسحبها الرجل بالركاب على قدميه فلا توجد أصلاً هنا كما لاحظت أيضاً هنا على ندرة استعمال عربات الثيران لحمل الأثقال كما هي مستعملة في الهند .

وأما نظافة البلدة القديمة فإنه أيضاً ملفت للنظر إذ قلّ أن يوجد له مثيل فيما يسمى بالاحياء الشعبية في المدن الهندية فهذه أنظف واطهر وهم به أكثر عناية .

ومررنا بسوق فيه بعض الخضروات وهي ليست كثيرة كما قلت مما يدل على أن الأهالي لا يعتبرونها مهمة في الغذاء وإنما يعتمدون كل الاعتماد على الارز والسمك فإذا بمعروضاته هي الموز والاناناس وثمار النارجيل فشربنا من ماء النارجيل كل واحدة بروبيتين أو تاكين ، تنثية (تاكا) وهو عملتهم الوطنية وتعادل نصف الروبية الهندية .

وفي بعض الحوانيت توجد البضائع القديمة مثل حوانيت تباع الحطب وقد رأيت بعض الاشخاص يشترون مقادير قليلة منه يحملونها على ايديهم هذا مع العلم بأن الغاز متوفر في هذه البلاد وأن أكثر الأبنية الهامة والبيوت الحديثة مزودة به بواسطة الانابيب منذ عهد الحكم الباكستاني .

وهناك الصناعات اليدوية القديمة التي في حوانيت الحدادين والنجارين ، ولم استطع الوقوف عليها والاطلاع على اعمالهم فيها بسبب الزحام وضيق الوقت وإن كان يظهر عليها من البعد أنها بسيطة غير متقنة فليست مظاهر الصناعات القوية أو الدقيقة موجودة لديهم .

وكان همنا الآن أن نخرج من القسم القديم من مدينة (داكا) المزدهم ولكنه ليس مزدحمًا بالسيارات بل إن أقل ما فيه هي السيارات بل لقد كنا في شارع لم نستطع السير فيه وإذا بي أتأمله فأجد أن سيارتنا هي السيارة الوحيدة فيه ، وإنما الزحام من المشاة ومن هذه العربات العادية المعدة للركوب بالأجرة .

حتى وصلنا إلى حي اسمه «قاضي علاء الدين رود» فوقفنا ولم نستطع المرور مما اضطر السائق أن يعود أدراجه من الشارع الذي كان فيه إلى شارع آخر يتطلب الخلاص من هذا المكان .

وفي هذا المكان الواقع على حدود القسم القديم من القسم الحديث من مدينة دাকা حيث يتشابك الناس في الزحام رأينا سيارة فيها مكبر للصوت يتكلم بلغتهم البنغالية بحماس وكأنه يعلن عن شيء فسألت عنه فقالوا إنه سياسي أي لأحد الاحزاب السياسية لأن الانتخابات العامة ستبدأ عندهم في شهر يناير القادم .

المرأة في داكا :

من أهم ما يلفت نظر القادم من الهند إلى هذه البلاد أو حتى من باكستان الغربية الفرق الواضح بينهما وبين داكا في موضوع المرأة وخروجها في الشوارع فهي تكاد تكون غير موجودة أصلاً بل إنه ظهر لي من خلال هذه الجولة أن خروج المرأة في داكا رغم الاستعمار الانكليزي الطويل هو أقل من خروجها في بلادنا في الرياض مثلاً وإن كان خروجها في الرياض يكون وهي متحجبة فهي هنا لاتخرج اصلاً وإن خرجت وهذا قليل نادر فانها قد تكون متحجبة والحق يقال أنني في خلال هذه الجولة السريعة التي شملت بالسيارة انحاء واسعة من مدينة داكا ونزلت خلالها أتمشي في احد اسواقها الشعبية لم أر امرأة واحدة يظهر أنها من أواسط الشعب وإنما رأيت عدداً محدوداً من النساء عرفت أن بعضهن ينتمين للأقلية الهندوكية التي تبلغ نسبة افرادها حوالي ١٢٪ عرفت ذلك من نقطة الصبغ الأحمر الذي تضعه الهندوكية على جبهتها بين عينيها.

وكنت أود أن أرى نساء هذه البلاد من باب المقارنة بين مظاهرن ومظاهر النساء الاخريات فلم أجد ذلك إلا في موضعين أحدهما: مطعم الفندق الذي فيه بعضهن وهن قد لبسن لباساً كلباس الباكستانيات قميص طويل يضرب إلى حوالي الركبة وسراويل يصل إلى الكعبين إلا أن سراويلهن ليست واسعة كسراويل الباكستانيات، والآخر مطار داكا.

كما أنني رأيت بعض البنيات الصغيرات في القسم القديم من المدينة وكان عددهن محدوداً جداً هو أقل بكثير مما يراه المرء في مدن المملكة من البنيات الصغيرات أيضاً اضافة إلى بعض القرويات أو الفلاحات اللاتي رأيتهن يمشين غير متحجبات على أطراف المدن وبعدد محدود أيضاً.

والذي رأيته منهن لايدل على أن نساء أهل هذه البلاد كنساء باكستان أو بعض النساء في شمال الهند، على أن هذا يكون إذا فرض أن اللاتي رأيتهن يعطين صورة صادقة عن الباقيات.

وهذا من اعجب العجب أن يحافظ هؤلاء الأخوة، أو قل: أن يستطيعوا أن يحافظوا على هذا القدر من عدم خروج النساء من المنازل في الوقت الذي كانوا

فيه تحت الاستعمار الانكليزي ثم في الوقت الذي كانوا فيه مشتركين في الحكم مع باكستان التي لاتمنع خروج النساء إلى العمل والشوارع فيها . على حين أن اهل بعض البلاد العربية قد أخذوا يتسابقون إلى تقليد الغرب تسابقاً حتى وصلوا إلى مضماره في هذا المجال وربما فاقه بعضهم فيما يضر ولم يلحق به فيما ينفع فالعاملات من النساء فيه لسن كالعاملات من النساء في الغرب من انتاج ينفع البلاد ولكنهن في الإنطلاق والسفور لايقصرن عنهن باعاً .

اللباس :

لباس النساء اللاتي رأيتهن وهم يعملن قد وصفته وأما النساء القليلات اللاتي رأيتهن في الشارع فهو اللباس الساتر الطويل الذي يستر البدن كله . وأما الرجال فإن لباسهم الأغلب الاعم هو الفوطة التي تلف حول الخصر حتى تصل إلى الكعبين من الاسفل ومن فوقها قميص عادي . وفي بعض الاحيان وهذا قليل جداً يكون اللباس القميص والسرwal الافرنجي .

في بعثة المساجد :

هكذا اسموها وهذا هو اسمها الذي وضعوه بالعربية على اوراقها ورئيسها هو الدكتور محمد مستفيض الرحمن وهو استاذ اللغة العربية في جامعة داکا . كان موعد زيارتها هو الساعة السادسة والنصف من بعد المغرب وكان المقرر ان يأتي رئيسها الدكتور مستفيض الرحمن إليّ في الفندق ليصحبني بسيارة السفارة لأن السيارات هنا قليلة عند الأفراد بل نادرة حتى الجمعيات لايملك اكثرها سيارة .

وعندما حضر الدكتور مستفيض الرحمن لم يكن سائق السيارة قد حضر فقلت له : لا مانع من أن اركب في عربة الركشا التي هي دراجة نارية في الاصل فقال ، ياشيخ أنت ذو مقام وتركب هذه؟ قلت : وماذا اصنع؟ اعندك سيارة؟ فقال : لا ، قلت : يا أخي ، الرسول ﷺ ركب حماراً واردف معاداً خلفه وليست الركشا بأقل شأناً من الحمار ، ولنا في رسول الله ﷺ اسوة حسنة فأعجبه ذلك وقصه على رفاقه عندما وصلنا مقر الجمعية .

هذا والجمعية دينية خيرية قائمة على إغاثة المصابين وتفريج الكرب عن المكروبين بحسب طاقتها، وما تصل إليه استطاعتها و(لا يكلف الله نفساً إلا وسعها).

وذكر القائمون على أمرها أنها تعمل على إنشاء مجتمع إسلامي ذي أخلاق فاضلة، وخصال ناصحة - على حد تعبيرهم - بواسطة التبليغ الصافي، والتعليم الخالص عن كل نقص وشائبة.

وهي توقن حسبما ذكروه في ورقة سجلوا فيها أهدافهم بأن مجتمعاً عادلاً ذا أخلاق نقية هو وحده يهدي القوم والملة إلى الرقي والسلام قال الله تعالى: ﴿إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين﴾ إن سيد الكونين ﷺ أرسله الله تعالى ليجعل كافة الناس أمة واحدة ذات أخلاق فاضلة ومواساة فردية واجتماعية ذلك هو كتاب الله الحكيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

إلى أن جاء في ورقة البعثة مايلي: إن المسجد هو الذي كان أيضاً مدرسة لدراسة الزهاد والأئمة والحكماء والأدباء والصناع وأمثالهم.

ونظراً إلى هذه المقاصد الحسنة والأهداف الرزان أقيمت هذه المؤسسة في جمهورية بنجلاديش الشعبية في ٢٥ نوفمبر عام ١٩٧٣ م.

ولاشك أن المقصد الأهم الذي تبذل لأجله المناصحة لبنجلاديش الشعبية التي هي ثانية أكبر البلدان الإسلامية وكذا مواطنوها المتدينون الصالحون.

ثم عدد البيان المكتوب بالعربية وسائل الجمعية لاداء عملها في تبليغ الدين وتعليمه جاعلة المسجد مركزاً لذلك وبذل كل الجهود للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتقديم المساعدة للجيوعان والعريان وعادم الوسيلة، وللأيتام والضعفاء والمساكين والمهوفين وإقامة مراكز لإعانة المرضى وعديمي المأوى، وإقامة المستشفيات بجوار المساجد وبذل الجهود لتقديم القرض الحسن والصدقات والزكاة بين المستحقين.

إلى أن قالوا : وتنظيم المدرسة لتعليم القرآن الكريم لقراءة صحيحة وتدرّيس المسائل الضرورية للأولاد والأطفال بجوار المسجد ، وتنظيم مدرسة ليلية حول المسجد ، لتعليم الشبان والكهول والشيوخ المشغولين في النهار بأعمالهم .

وتنظيم مدرسة (نسوانية) حول المسجد لتعليم النساء المؤمنات بمراعاة الحدود الشرعية . وإقامة مكتبة دينية في كل مسجد مشتملة على الكتب والرسائل الإسلامية .

وتأليف الكتب والرسائل على ضوء القرآن العظيم وسنة النبي الكريم وإقامة إدارة لتدريب أئمة المساجد .

يوم الجمعة ١٥ محرم ١٣٩٩ هـ ١٥ ديسمبر ١٩٧٨ م
في مسرح المأساة :



مساكن المحتاجين والفقراء في بنجلاديش

وهذه المأساة هي مأساة طائفة من أبناء الشعب البنغالي المسلم الذين جاؤا إلى المدن أو كانوا في الأرياف فقراء فابعدتهم حكومة مجيب الرحمن السابقة إلى هذا المكان وتركته دون طعام أو مساكن أو مدارس أو عمل يقتانون منه فأسرعت اليهم الجمعيات المسيحية فبنت لهم البيوت السريعة وانشأت مدارس من القش

وأنشأت أيضاً داراً للأطفال الذين عجز ذووهم عن رعايتهم فتخلوا عنهم أو للذين مات أهلهم بالفعل ، وبنت كنيسة في المكان .

كل هذا والمسلمون غافلون أو متغافلون وعاجزون إلى أن قيض الله تعالى نفراً من المثقفين المسلمين من أبناء البلاد فنذروا أنفسهم بالقيام على اغاثة إخوانهم المسلمين وانتشالهم من أيدي الضياع وارشادهم ارشاداً دينياً ألا وهم أعضاء بعثة المساجد فبنوا لهم المساجد وعينوا فيها أئمة للصلاة والوعظ والإرشاد .

وكان من أمرهم ما سأقصه عليك : قال لي الدكتور محمد مستفيض الرحمن : سوف نذهب صباح هذا اليوم الجمعة قبل الصلاة إلى (تونقي كامب) فقلت له : وما هو (تونقي كامب)؟ قال إنه واقع قرب قرية (دكتوبارا) فقلت له لقد زدتنى به جهالة ياسيدي فما هو؟ قال : إنه المكان الذي فيه مأساة المسلمين حيث يتولاهم النصارى ولا تحرك الحكومة ساكنا ولا يحرك المسلمون ساكنا حيث بدأنا العمل هناك إنني سوف اريك ذلك لأن سفير الملكة العربية السعودية الاستاذ فؤاد الخطيب قد اثنى عليك وقال : إنك رجل نشيط يمكن أن تساعد المسلمين على أمثال هذه المشروعات فقلت له : أسأل الله تعالى أن يقدرنى على بذل ما استطيع بذله في هذا الصدد .

وهكذا قمنا في الساعة التاسعة والنصف صباحاً متجهين مع طريق مطار (داكا) الحالي جهة الشمال من الفندق ذلك الطريق الواسع الجيد وبسيارة السفارة السعودية وهي جديدة مكيفة الهواء .

وبعد قليل وصلنا منطقة فيها مسجد جامع ملقت للنظر والمسجد من حيث هو في هذه البلاد لا يلفت النظر لأنها بلاد إسلامية عريقة فملك البنغال الذي زاره ابن بطوطة قبل حوالي سبعمئة سنة كان مسلماً وكان ملكه يمتد إلى مسافات واسعة تشمل هذه البلاد التي تسمى الآن بنجلاديش وتشمل غيرها من أرض الهند في الوقت الحاضر مثل ولاية آسام .

ولكن الذي يلفت النظر في هذا المسجد هو طراز بنائه العربي القديم واتساع قبابه والأفنية التي تحيط به فسألت عنه الدكتور مستفيض الرحمن فقال إن ابن بطوطة قد ذكره عندما زار هذه المنطقة ، والتقى بملك البنغال لا في داكا نفسها وإنما في بلدة أخرى غير بعيدة كانت هي العاصمة في ذلك الوقت .

فسألته عن اسم المنطقة التي يقع فيها المسجد والتي هي الآن حي من أحياء مدينة (داكا) العاصمة فأجاب أن اسمه (كاروان بازار) فقلت له: إن هاتين الكلمتين من الفارسية، فقال: نعم فكاروان معناها قافلة وبازار معناها سوق وإذا معناها... سوق القوافل... لأن قوافل التجار كانت تنزل هناك في القديم.

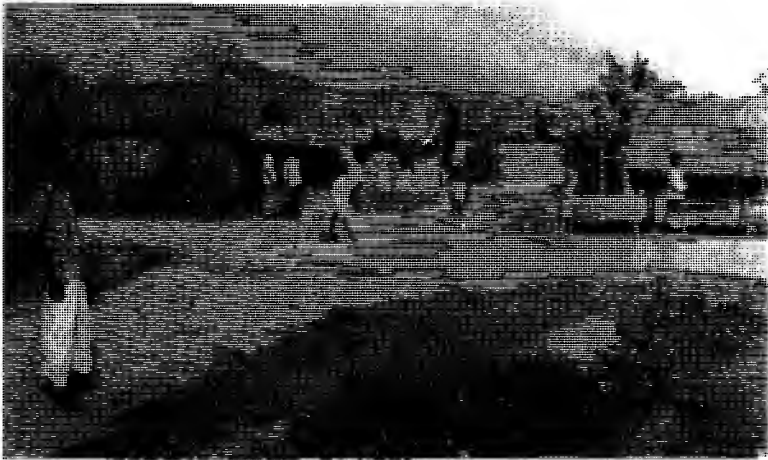
وواصلنا طريقنا إلى (تونقي كامب) أو معسكر تونقي ويبعد لمسافة ٢١ كيلو متراً إلى الشمال من داكا واستمر السير في طريق شبيه ببقية الطرق في الهند الرطبة فأنت ترى الحفر الكبيرة المليئة بالمياه التي نبتت فوقها الاعشاب كما ترى حفراً أخرى قد زرع فيها الارز.

ومررنا بمشروع المطار الدولي الجديد وكله تم بمساعدات دولية وقد انتهى العمل من معظم أبنيته وهو في أرض منبسطة صالحة جداً ليس حولها هضاب أو تلال.

وبهذه المناسبة نذكر أن هذه المنطقة من بلاد البنغال بل إن أكثر بلادهم ليس فيها جبال وإنما هي سهول مغطى جزء كبير منها بالمستنقعات.

ثم وصلنا إلى نهر ليس كبيراً اسمه (شيتاتى) وهذا اسم قديم بدليل ذكر اسم شيتا فيه.

قرية كتو بارا :



بيوت من الحصر والأعواد

بارا في اللغة البنغالية محلة وكتو: اسم فهي محلة كتو إذا وليس هذا المهم وإنما المهم أننا عندما وصلناها شاهدنا القرويين الفقراء المهملين حقا بيوتها بعضها بالحصر والأعواد وبعضها بالصفيح وشيء منها بالآجر المطلق، ورأينا الفلاحات الحافيات اللاتي تنقصهن التغذية وهن ذوات سمرة داكنة ووجوه تلوح عليها الحاجة أو على الأصح يرى المرء الريف الهندي الأصلي هنا إلا أن الهنادك ولباسهم القديم ليسوا موجودين فيه.



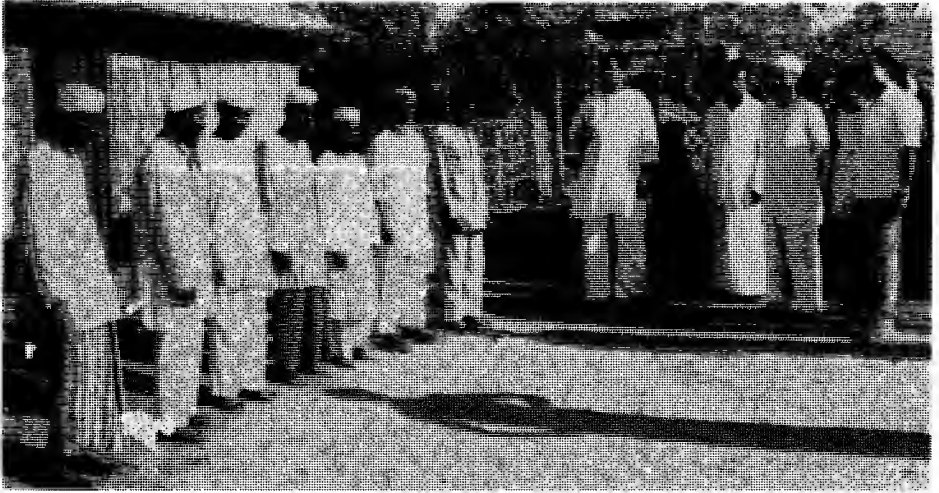
مركز بعثة المساجد

وكان أول ما قصدناه المركز الذي أقامته بعثة المساجد لاغاثة المسلمين في هذه البلدة، والمركز كله ومنشأته هو من الحصر والأعواد فالسور الخارجي كله من عيدان من الخشب ضعيفة يستطيع الرجل غير القوي أن ينزعها بيده ولكن يظهر أن هذا لا يخطر ببال أحد لأنهم قوم مسالمون من جهة ولأنه ليس وراءه ما يخفيه من جهة أخرى إذ ليس بداخله ما يستحق أن يؤخذ إلا أشياء عينية ليست مهمة ولا يمكن إخفاؤها.

وكانت غرفة الإدارة فيه أشبه بالخيمة من الحصار والأعواد عليها مكتب خشبي محلي وكراسٍ محلية خشبية وأرضها طينية قد تشققت بعد أن طليت بها لأن أرض المنطقة كلها طينية.

ومن غرفة الإدارة خرجنا لرؤية المسجد وهو أيضاً مسجد من الحصر والاعواد إلا أنه قديم أقدم من هذه المؤسسة التي لم تفتتح إلا حديثاً إلا أنهم جددوه اي جددوا ترميمه بالحصر والاعواد .

ورأينا قبراً مسوّى بالأرض لا يرتفع إلا أقل من الشبر وقال الدكتور مستفيض الرحمن إن هذا القبر كان في السابق بمثابة الوثن يأتيه الجهال ويتبركون بالدعاء عنده وكان عليه بناء فهدمناه وسويناها بالأرض وفقاً للسنة كما ترى فشكرته على ذلك ودعوت له بالتوفيق .



مدير الزرع سيد نور الحق يدرب المدرسين في المركز

ثم طاف بنا الدكتور يصاحبه ثلاثة من الموظفين المحليين في هذه الجمعية العجيبة بالنسبة إلى هذه البلاد التي جنى عليها أهلها فرأينا فصلين من فصول الدراسة فيهما مقاعد خشبية جيدة وغرفة قال إنها ستكون صيدلية ولكن ليس فيها ادوية ومكانا آخر قال إنه غرفة للتدريب المهني وأراني شيئاً قليلاً من الأوعية التي صنعت من الخوص والاختشاب وقال إننا نساعد الأهالي على أن يكون في أيديهم حرفة يتعلمونها ليعيشوا منها كما يعيش غيرهم .

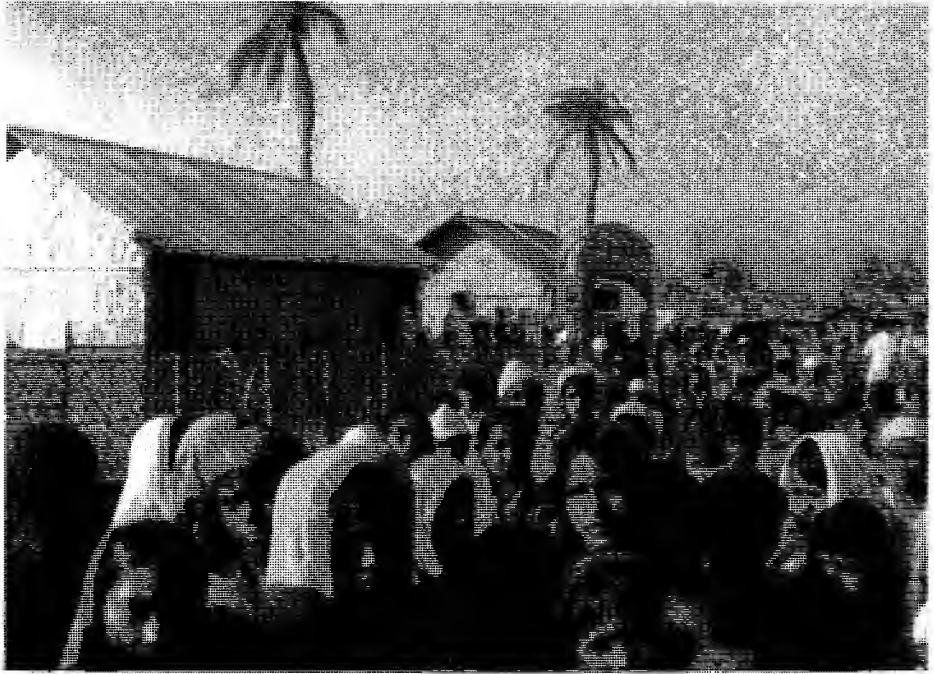
الحي العجيب :

هذا الحي يقطنه اثنان وخمسون الف نسمة من الناس الفقراء الضائعين الذين قال الدكتور مستفيض الرحمن بتعبيراته العربية التي يحفظها من الكتب لأنه لم ينل قسطاً وافراً من التمرين على التكلم باللغة العربية وهو لا يعرف كثيراً من الاصطلاحات العصرية في اللغة لذلك تجيء عباراته بالنسبة لي غريبة ولكنها حقيقية مثل قوله (هؤلاء كانوا يسألون الناس الحافا) وقوله (أبناء السبيل) يريد أنهم لا مساكن لهم ولا أملاك .

وقصتهم فيما عرفت أن حكومة الانفصال التي كان يرأسها مجيب ارادت أن تظهر للناس فيما ارادت أن تخدعهم به أنها تعمل اشياء فجمعتهم من شوارع (داكا) العاصمة وابعدتهم في هذا المكان الذي يبعد عنها بمسافة ٢١ كيلاً إلى الشمال ولكنها تركتهم دون أن تعمل لهم أي شيء بل هي في الحقيقة سهلت عمل المبشرين بالنصرانية الذين وجدوهم محتاجين فاقدين لكل شيء فأسرعوا اليهم بالمعونة والمدارس وغير ذلك ، واستمروا يعملون معهم وحدهم حتى خشي بعض المسلمين أن يؤثروا على دينهم وبخاصة الاطفال الصغار والضعفاء والايتام الذين هم عجينة طيبة في ايدي من يرببهم .

وهذا الحي ليس فيه من المرافق شيء ماعدا المياه ففي اركانه صنابير يستقي منها القوم بالأواني ويغسل عندها النساء ثيابهن وثياب اطفالهن ، وذلك لأن الماء في هذه البلاد هو ارخص شيء وأيسر شيء ، وربما لم تكن الحكومة هي التي زودته بالمياه لأن الدكتور مستفيض الرحمن ينوه دائماً بأنهم هم الذين قربوا الماء من المسجد للوضوء والاغتسال والحاجات الأخرى لمن يرتادون المسجد .

وشوارعه التي فيها شارع رئيسي تسير فيه السيارات ويتسع لسيارة واحدة وأرضه مفروشة بالآجر بدلاً من الاسفلت والسير عليه صعب جداً على السيارة .



تلميذات في مدرسة بعثة المساجد

وعلى يمين هذا الطريق وشماله بيوت من الحصير الذي احكم بناؤه بالاعواد والاشباب الصغيرة وسقف بالحصير أيضاً على شكل مسنم ينزلق عنه المطر في هذا البلاد المطيرة والبيت على شكل غرفة واحدة فقط وقد بنت هذه البيوت للأهالي الجمعيات المسيحية ورأينا بينها بناء بالصفيح والصفيح هناك يعتبر مرحلة متقدمة وهو بناء أو قل (صندقة) جديدة كبيرة منسقة وهي دار الايتام التي انشأتها الجمعيات المسيحية لايتام المسلمين والاطفال الذين لا عائل لهم ينشؤونهم على ما يريدون بطبيعة الحال .

وهناك لهم أيضاً مدرسة ذات فناء واسع مبني بالاعواد وصيدلية ومستوصف جيد. ثم هناك كنيسة عليها صليب بارز ولم أر أحداً يدخلها ولكن ربما كان ذلك للعاملين فيها من المسيحيين ولمن يستطيعون أن يجعلوهم يدخلونها من المسلمين .



فصل دراسي في مركز الإغاثة

وعندما كانت السيارة تسير ببطأ شديد وبصعوبة في هذا الطريق الذي هو أرض طينية مرتفعة نوعاً ما عن الأرض المجاورة قد فرشت باللبن من الآجر كما قلت كان الأطفال يخرجون من الأكواخ وهم يصرخون ويطربون يلاحقون السيارة ويلمسونها بأيديهم وهي تسير الهويناء.

وقد أشققت من أن يصيبهم أذى ونبهت السائق عدة مرات لهذا الأمر فهؤلاء الأطفال لم يشاهدوا سيارات كثيرة وربما لم يبصرهم أهلهم بمخاطر الاقتراب منها ثم أوقفنا السيارة في وسط الشارع لأنك لاتخشى أن تأتي سيارة أخرى للمرور وذهبنا على الأقدام مسافة قصيرة لنشاهد مسجداً جديداً مبنياً بالحصر المثبتة بالأعواد على شكل خيمة مستطيلة استطالتها من الجنوب والشمال والمحراب في وسطها جهة الغرب الذي هو قبلة أهل هذه البلاد.

ويقع هذا المسجد بجانب بركة واسعة طبيعة، أو قل: إنها ضخمة ممثلة بالماء على شكل بحيرة إلا أن مياهها غير صافية وهذه هي طبيعة الأرض في الهند،

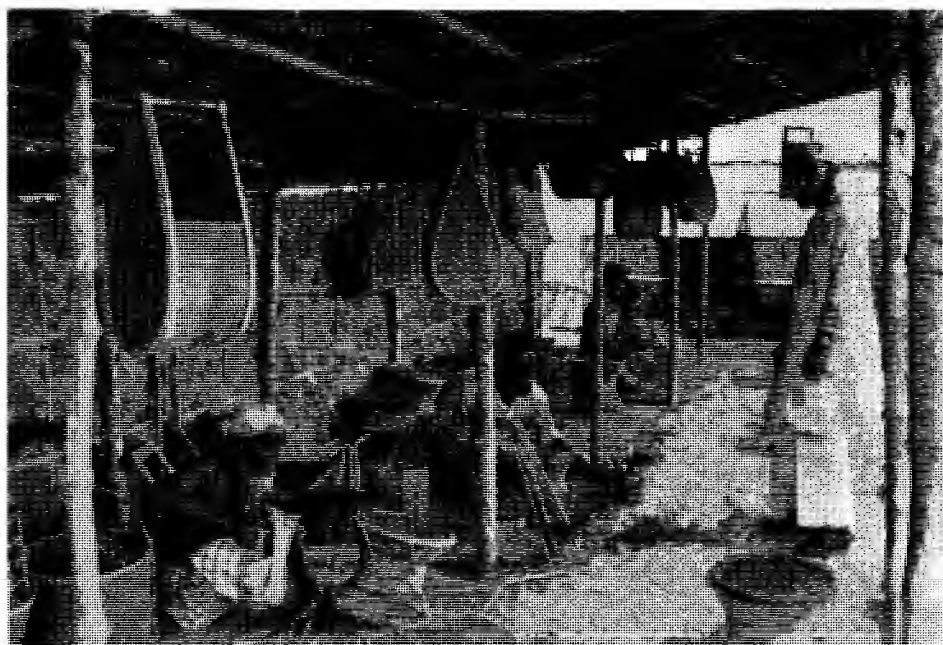
وقال مرافقونا إن الأهالي لا يستعملونها للشرب لأن لديهم أنابيب للمياه وإنما يستعملونها لأغراض أخرى ومنها صيد السمك وأن تكون مصرفا للمياه غير النظيفة.



فصول دراسية كلها من القش

وكنا نرى الأهالي ونحن نمر بهم فنرى أكثر الأطفال متسخي الابدان رغم أن المياه متوفرة بكثرة وربما لا يوجد في هذه البلاد متوفر بكثرة مثل المياه، كما أن المرء يشاهد الشيوخ الهزالي وكلهم من المسلمين.

ولم أجد أي أثر للحكومة التي تسمى نفسها (جمهورية بنجلاديش الشعبية) فإذا كان ذلك يدل على أنها تعمل لخدمة الشعب فأني خدمة الزم من خدمة هؤلاء المساكين الفقراء الذين تركوهم للاجانب الذين يخالفونهم في الدين يفعلون بهم ما يشاؤون.



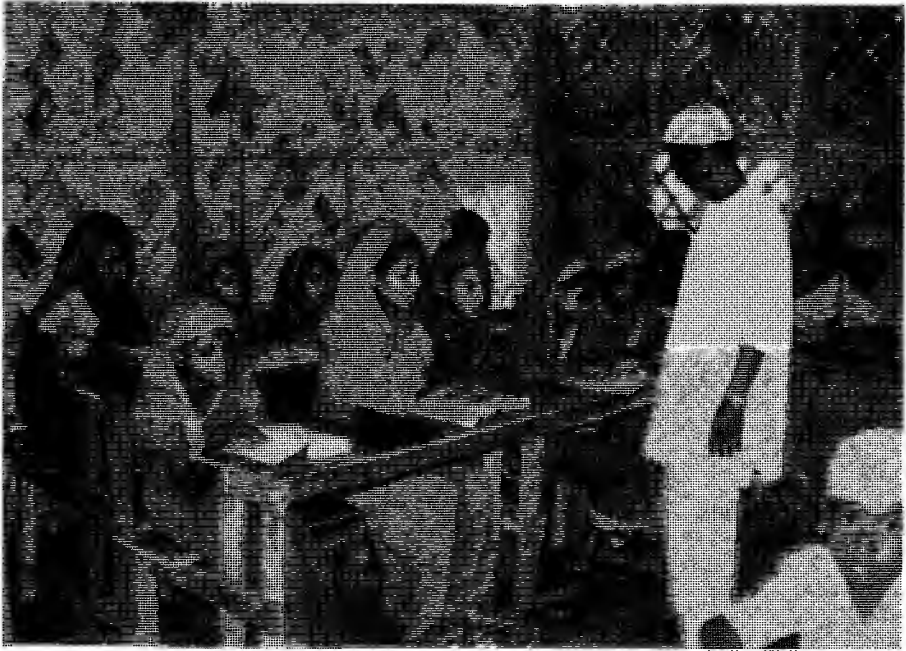
الأثاث والمحل كله من القش أو الأعواد في بنغلاديش

وكنا نسير والاطفال حولنا ككرة الثلج التي كلما تدحرجت كبرت فكانوا يتبعوننا وينظرون إلينا وذلك بسبب عدم إلفتهم للاجانب الذين يأتون إلى هذه البلاد ولقد وقفت لأسالهم عن اسمائهم فكانت كلها بدون استثناء اسماء عربية إسلامية لا أثر للعجمة فيها مثل نور محمد وسليم وعبدالله إبراهيم إلخ .

وكان سيرنا على الاقدام من هذا المسجد إلى مسجد آخر في ناحية هذه البلدة العجيبة التي اسموها المعسكر لأنها بالفعل ليست بلدة بالمعنى المفهوم وإنما هي معسكر عجيب حقا لأنه كله من الحطب ومشتقاته من السعف والحبال والأعواد والاخشاب غير الغليظة ولاغير ذلك فلا أثر للبناء بالآجر أو الأسمنت فيه رغم أنه يقطنه أكثر من خمسين ألف نسمة .

وكنا نرى النساء وبعضهن هزيلات بشكل ملفت للنظر وبعضهن أحسن حالاً وكلهن من المسلمات ولكن كلهن سافرات فهن في حالة لايستطعن معها هن أو ذووهن التفكير في موضوع الحجاب الذي يتمسك به أهل المدن في هذه البلاد حتى

أهل العاصمة، ولم أر أي أثر للحيوانات إلا بعض الدجاج القليل وماعزاً صغيراً أسود وأحمر رغم أن الماء هنا هو المشكلة وليس الجفاف، ورغم كون العلف يمكن الحصول عليه بالمجان إذ الأرض حتى أرض المعسكر تنتشر فيها المستنقعات التي تجللها الاعشاب النامية على سطح الماء وعلى حواشيه وسألت الدكتور مستفيض الرحمن لماذا لا يتخذون ماشية اللبن يشربون لبنها ويربونها مادام العلف والماء متوفران هنا، فأجاب ذلك متوفر ولكن النقود غير متوفرة فلا يستطيع أحد منهم أن يجد ثمن عنز واحدة فقلت له : و(الحكومة) ألا تستطيع أن تعطيهم ذلك؟ فقال: لا، هي فقيرة ومهملة، قلت: وهم ألا يستطيعون أن يعملوا ويشتروا بأجرهم ماعزاً أو غيره؟ فقال : ومن أين العمل؟ وكيف يعملون؟ إن الاقوياء الاشداء الذين لديهم خبرة فيه يعوزهم العمل، وهؤلاء لا يعملون ولم يتعودوا ذلك .



فصل دراسي من الحصار

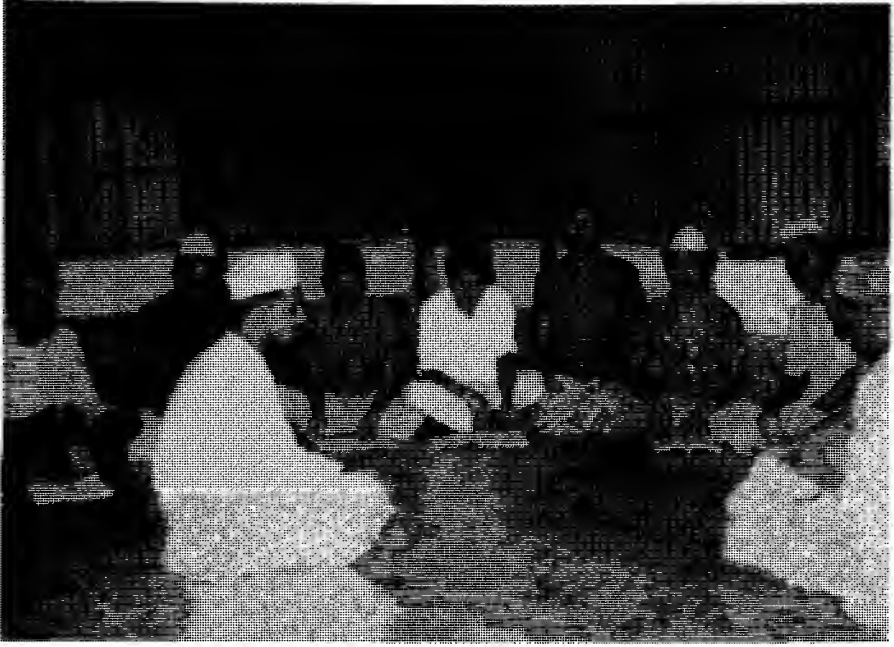
ووصلنا المسجد الآخر في الركن الجنوبي من المعسكر فإذا به ايضاً مثل غيره اشبه بعشة من الحصير والاعواد إلا أنه منسق البنيان وفيه زيادة لاحظتها وهو أنهم قد بنوا سطحه على شكل سنام من الحصير مثل غيره ولكنهم اضافوا سقفاً آخر كما يكون في البلدان المترفة مستعاراً للتجميل فهم هنا وضعوا حصيراً فوق رؤوس المصلين على شكل مستو اي مسطح وهو زائد لاجابة إليه في الوقاية من المطر فسألت عن الحكمة من وجوده هكذا فقالوا: إنه لكي يقي المصلين وبخاصة صلاة الجمعة حرارة الشمس إذ يكون مع السقف الأصلي بمثابة سقف اضافي .

وقد رأيت لافتات مكتوبة على أوراق وخرق بيض في المسجد معلقة فيه ولكنها كلها بالبنغالية فسألت عن معناها فأخبروني أنها ترجمات لمعاني بعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وإحداها التي عند المدخل هي : (اللهم افتح لي أبواب رحمتك) وأخرى (إن الدين عند الله الإسلام) وثالثة (وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون).

وكان إمام المسجد يقرأ عليّ تلك العبارات بالبنغالية قبل أن يترجم معناها إلى العربية وأنا أقول في نفسي المثل العامي النجدي: اكذب ولا تخاف؟ .

وذكرت أيضاً أنني قلت هذا المثل عندما كان صديقي الاستاذ/ رمضان ابو العز يسير بي في المعابد الفرعونية في مصر ويقرأ عليّ نصوصاً من اللغة الهروغليفية التي يحسنها ثم يفسرها بالعربية فكنت اقول له وهو يقرأها: اكذب ولا تخاف . . إذ كيف اعرف انك قد غلطت فيها .

ولكن اين المسلمون؟



درس على الأرض

كانت العودة إلى مقر ادارة عمل الجمعية الإسلامية في هذا المعسكر وهو غرفة من الحصير كما قلتُ تفضلوا على فقرهم وقلة ذات يدهم فقدموا الشاي وشيئاً من الحلوى المصنوعة محلياً وعندما اعتذرت عن الأكل منها عرف الدكتور مستفيض الرحمن مغزى ذلك فأمرهم بلغتهم أن يحضروا شيئاً من البسكويت المغلف وكان يحدثنا وكله ايمان وعزم وتصميم وكذلك إخوانه الذين اجتمع منهم حولنا أربعة وكلهم يقولون: إنهم بأذن الله سوف يستطيعون ان يقدموا خدمة لآخوانهم المسلمين في هذا المعسكر الذي جميع سكانه من المسلمين .

ولما سألتهم: وموضوع المصاريف؟ قال الدكتور إنها من المسلمين رغم فقرهم فقلت له: والعون الخارجي؟ قال: لقد وصلتنا نقود من الرابطة ولقد اتصلنا بأخواننا سفراء الدول الإسلامية فوعدونا خيراً ، وإلى الآن لم يتحقق غير ذلك ، ولكننا واثقون منهم لأنه لم يمض على ابتداء عملنا هنا إلا ستة أشهر وقد اتصلنا بهم بعد ذلك وهي مدة قصيرة غير كافية .

هذا ولهم في هذا المعسكر أربعة مساجد، وعدة فصول دراسية، وفصول للتدريب المهني ولكنها ضعيفة تنقصها الادوات وصيدلية ليس فيها أدوية ولكنهم يأملون أن يحصلوا عليها. وفصول لتعليم البالغين وسألت الدكتور عن مرتب إمام المسجد هنا الذي هو إمام ومدرس ومرشد ومفتٍ إلخ. فقال إنهم يختلفون ما بين ٣٠٠ - ٥٠٠ تاكا وذلك يساوي ما بين ٦٠ إلى مائة ريال سعودي في الشهر.



أطفال صغار تعلمهم (بعثة المساجد)

إن ذلك مبلغ زهيد ولو رأى فقراؤنا من أهل البلدان العربية حالة هؤلاء الأخوة وعلوموا بها لاستطاعوا أن يتبرعوا بما يكفيهم فكيف بالاغنياء؟ وقد حدثتني نفسي وأنا أسير في شارع المعسكر قائلة: لماذا لا تسكن في فندق من الدرجة الثانية أو الثالثة مدة مقامك في بنجلاديش وتتبرع بالفرق ما بين ذلك ويدخل فيه الفرق بين الوجبات الغذائية وغيرها وما بين اجرة فندق (انتركونتيننتال) الأوروبي الطراز، أو قل: الأمريكي الطراز وذلك سيكون مبلغاً مفيداً بالنسبة إلى هذه البلاد وبخاصة في هذا المعسكر.

ورأيت لي الفكرة ولكن أجبت نفسي: أنني أستطيع أن أتبرع بالفرق وأكثر منه واسكن في فندق (اتركونتيننتال) لأننا نحن العرب بعد أن انعم الله علينا بهذه الثروات الطائلة أصبحنا قد تعودنا على السكن في الفنادق النظيفة حتى لا نستطيع أن نجد الراحة في غيرها. ثم قلت: لنفرض أن ذلك التبرع بالفرق قد حصل فهو لمرة واحدة وينقطع ولكن لماذا لا ينفذ ما سبق أن اقترحت في آخر كتابي: «في أفريقية الخضراء» من إنشاء صندوق للدعوة الإسلامية تجمع فيه التبرعات كلها من الحكومات الإسلامية ومن أفراد المسلمين ثم تصرف في مصارفها الصحيحة لإغاثة المسلمين في الخارج وفي الحالات التي تكون مثل هذه الحالة، التي قد يوجد لها نظير في بعض البلدان الإسلامية.. وعزمت على أن أكتب كتاباً في الدعوة اخصص فيه باباً لفكرة صندوق الدعوة هذا.

بقي شيء تجدر ملاحظته وهو أنني عندما رأيت الجمعيات المسيحية قد سارعت إلى إغاثة هؤلاء المسلمين بأن بنت لهم بيوتاً ولو كانت من القش وفتحت لأولادهم مدارس وأنشأت مستوصفاً وأعطت كل طفل يدخل إلى المدرسة ثوباً جديداً على حين تقاعس المسلمون أو لم يصنعوا شيئاً قلت: هل تستحق هذه الجمعيات النصرانية المدح أو الذم؟

لا شك أن كثيراً من القراء سيسارعون بالذم ويقولون: إنهم فعلوا ذلك ليس بنية الخير، أو إرادة النفع للمسلمين وإنما هو من أجل الدعاية لدينهم، ومن أجل تنصير من يستطيعون تنصيره من المسلمين.

ونقول: هذا صحيح كله أو بعضه، ولكن لا يستحق المسلمون الأثرياء الذين علموا بحالتهم ولم يتقدموا لمعونتهم أن يلاموا على ذلك؟

ولم لم يفعلوا شيئاً يمنع هذه الجمعيات المسيحية من هذا العمل بأن يقدموا للمسلمين ما يسد حاجتهم ويغنيهم عن تقبلها من غيرهم؟

على أن الذي ينبغي التنويه به أنه ليس كل من قدم من الأوروبيين معونة للجمعيات المسيحية لكي تقدمها للمحتاجين في العالم إنما يريد بذلك أن يدخل المعانين في النصرانية ففي أولئك من يقدم ما يقدمه من عمل خيري بدافع إنساني يدفعه وهو يرى ما يتقلب فيه من نعمة وثروة إلى أن يقدم شيئاً من ذلك للمحتاجين والمعوزين.

على أن ذلك لا يقدم في هذا الموضوع ولا يؤخر وهو موضوع وقوع اللوم على المسلمين القادرين على فعل الخير لإخوانهم ممن بلغهم أمرهم واطلع على حالهم .

على أن هذا لا يعني أن المسلمين لم يقدموا شيئاً لهؤلاء الإخوة فالبنجلاديشيون لم يقصروا في تقديم ما يستطيعونه ورابطة العالم الإسلامي أقامت معسكراً كاملاً للاجئين البورماويين استفاد منه الإخوة المواطنون من بنجلاديش ولكن المطلوب هو عمل يكفي عن التماس المعونة من غير المسلمين بأن يغني عن الحاجة إلى غيرهم .

بيت المكرم :

هذه الجملة من اضافة الصفة إلى الموصوف وإن لم يكن ذلك مقصوداً من الذين وضعوا التسمية لعدم معرفتهم بالعربية فالمقصود منه هو أن يقال: البيت المكرم وهو مسجد جامع ضخم واسع ليس في ساحاته وأفائه فقط وإنما فيما يستوعبه من عدد المصلين بنى في عهد حكومة باكستان ويطل على ميدان في العاصمة عليه استاد رياضي وسوق شعبي مسقوف والمسجد نفسه مؤلف من سبع طبقات ، أي نعم إنه مسجد مؤلف من سبعة طوابق اسفلها حوانيت وأسواق تجارية ثم المصلى هو وما فوقه أماكن للصلاة .

وقد وصلنا قبل الأذان بقليل فوجدنا الداخلين إليه افواجاً لم أر مثل تزارحهم إلا في الحرمين الشريفين .

وأدى المؤذن الأذان الأول بصوت رخيم وشجي تتمنى أنه موجود في المساجد العربية وعندما فرغ وأدبت صلاة السنة تقدم رجل شاب من مكبر للصوت كان في المحراب فألقى كلمة مكتوبة باللغة البنغالية .

وبعد ذلك بحوالي ثلث ساعة دخل الإمام فأذن المؤذن الأذان الثاني ثم نهض الإمام وصعد المنبر ولم يصعد إلى اعلاه ثم خطب باللغة العربية التي لا يفهمها منهم أحد خطبتين متوسطتي الطول إحداها وهي الأخيرة من الخطب التقليدية التي كنت اسمعها في بلادنا تكرر كل جمعة منذ أن عقلت ، ولا شك في أنه لم يفهمها

منهم أحد وكان يمد الكلام المسجوع في الخطبة مداً ويتغنى به تغنياً، فكنت بذلك أفهمه أنا بصعوبة فكيف بهم لو كان فيهم من يفهم العربية والعربية في هذه البلاد قليلة جداً حتى الكلمات التقليدية التي يفهمها أكثر الناس في الهند وباكستان وهي كيف حالك؟ وجوابها «طيب» لا يعرفهما أحد لأن اللغة العربية ليست منتشرة المعرفة في هذه البلاد، وإنما اللغة الوحيدة التي لا لغة معها هي البنغالية.

وبعد انتهاء الصلاة، جعل الإمام يدعو دعاء طويلاً مسجوعاً باللغة العربية أول الأمر والناس يؤمنون على دعائه وهم لا يعرفون معناه ثم أخذ يدعو بالبنغالية وكانوا يؤمنون هذه المرة خلفه بحرارة ورفع الأصوات لانهم يفهمون معنى دعائه ثم رجع إلى الدعاء باللغة العربية ثم عاد إلى الدعاء بالبنغالية كل ذلك وهو يرفع صوته مثل ما يفعل من يختم القرآن الكريم في بلادنا.

وقد استغرق ذلك أكثر من وقت الصلاة بكثير والناس منتظرون لم يتحرك منهم أحد من موضعه ولم يحرك جسمه حتى بتغيير وضعه مثلاً من الجلوس إلى التورك وكأنما هم في صلاة فعلية وهم رافعون أيديهم.

وطال ذلك ومللنا لأنه رتب دعاء اعتقد الناس بأنه واجب لا يجوز عرفاً تركه فهو بذلك اضاف إلى الصلاة شيئاً لم يوجبه الله ورسوله.

وبعد أن فرغ من هذا الدعاء الطويل قام الناس إلى صلاة النافلة وقمت وصليت ركعتين كعادتي ولما فرغت أردت أن أخرج ولكن لاتزال الصفوف قائمة تغلق الطريق على من يريد الخروج ولا يزال الناس يصلون النافلة، وأنا انتظر رفيقي الدكتور مستفيض الرحمن الذي هو بجانبني لأخرج إذا خرج ولكنه لم يفعل ذلك كما لم يفعله غيره حتى مللت بالفعل وقلت في نفسي ماذا جنى هؤلاء على الدين إذ جعلوا من العرف عبادة حتى يستثقل الشباب حضور الصلوات، وحتى يذهبوا من الصلاة اليسر والسهولة، ولو كانوا في بلادنا مثلاً لكان الناس الآن قد ادوا صلاة النافلة ولذهبوا إلى اعمالهم.

هذا والمسجد مفروش ببسط رقيقة لاتقي برد أرضه الاسمنتية والأدهى من ذلك أن القوم لم يعتادوا أن يروا المرء محتبياً في المسجد فقد احتببت أي جلست وأنا رافع ركبتي ممسكهما بيدي كما نفعل بالملكة فنهاني جاري الذي عن يميني عن

ذلك فاكتفيت برفع ركبة واحدة، فنهاني جاري الذي عن يساري عن ذلك ورأيتهم بالفعل لا يفعلونه.

شيء لا يليق :

وبعد إنتهاء مراسيم الدعاء وبعد أن طاب للناس ان يسمحوا لمن يريد الانصراف ان ينصرف بدأت اسمع عند الباب الرئيسي للمسجد ضجة عالية مختلطة الاصوات ولكنها بمجموعها اصوات غير منسجمة وقلت للدكتور مستفيض الرحمن أهم سياسيون؟ فقال : نعم قال ذلك وهو غير صحيح ولكنه لم يرد أن يقول لي غيره وإنما رأيته بنفسه والسياسيون في هذه الأيام يرفعون اصواتهم بالشعارات استعداداً للانتخابات في الشهر القادم وكنت اظن الاصوات خارج المسجد، ولكنني ما أن خلصت إلى بابه الخارجي وسط زحام شديد حتى رأيت منظرا ازعجني إذ كانت تلك الاصوات من الشحاذين والمستجدين كل واحد منهم يرفع صوته باقصى ما يستطيع لكي يسمع الناس ولكي يعلو على صوت الآخرين وذلك كله عند باب المسجد ومن الداخل في اصوات مزعجة منفرة تعطي صورة غير كريمة لهذا المكان الكريم الحافل بالمصلين .

وليس ذلك فحسب وإنما المؤسف أن أكثر هؤلاء المستجدين والسائلين هم من أصحاب العاهات من المشلولين والمجذومين الذين أذهب المرض بعض أطرافهم ومن الذين يحملون على الأيدي وعلى مقاعد من الخشب أو ممن فقدوا يداً أو رجلاً بسبب المرض ، وهم يظهرون عاهاتهم ويرفعون اصواتهم في منظر تنقزز منه النفس ، وقد أثر هذا المنظر في نفسي ولاشك أنه سيفعل مثل ذلك في نفوس الآخرين الذين أعجبهم هذا المسجد ذو الطبقات السبع الذي اسمه «بيت المكرم» إذ يحضر الصلاة فيه جمع لم أر مثيلاً له إلا في الحرمين في وقت الحج وقال إخواني: إن الذين يصلون الجمعة فيه في طبقاته السبع وفي باحاته الواسعة التي تصيبها الشمس يبلغ عددهم ثلاثين ألف رجل واعتقد أن هذا التقدير ليس فيه من المبالغة شيء هذا مع العلم بأنه يوجد حسبما اخبرنا فيه اخواننا أكثر من مائة مسجد تصلى فيها الجمعة في مدينة دكا .

وبعد الخروج بصعوبة من المسجد الجامع رأينا جماعة قد نصبوا مكبراً للصوت وهم يخطبون قالوا: إنهم من الجماعة الإسلامية وعند السيارة عاد الشحاذون يلحون ويلحفون ولكنني لم اعط احداً منهم لأنك إذا اعطيت واحداً لم تتخلص من الآخرين إضافة إلى أن مظهر الاستجداء الجماعي بهذه الطريقة مما يشوه صورة هذا الاجتماع العظيم في النفس .

في مطعم شعبي :

قلت للدكتور مستفيض الرحمن: إنني أرجو أن تستجيبوا إلى دعوتي لطعام الغداء أنت و سائق السيارة ويكون ذلك في مطعم وطني نظيف والمهم أن يكون نظيفاً يقدم مأكولات محلية ولا مانع من أن يكون غالياً وإنما المانع هو أن يكون غير نظيف فهل يوجد ذلك لأنني أحب أن أرى مطعماً نظيفاً يقدم الاطعمة البنغالية فقال: نعم وتكلم مع السائق وتراجعا برهة ثم قصدا محلاً أوقفا السيارة بعيداً عنه وسرنا على الاقدام حتى وصلنا مطعماً مزدحماً لا يكاد المرء يجد فيه مكاناً، إذ جميع اماكنه مشغولة ورأيتهم يقدمون على كثرة رواده صنفاً واحداً من الطعام هو صحن من الأرز وقطعة من لحم الدجاج مثل رجل الدجاجة في صحن منفرد مع أن الدجاج عندهم ليس بالكبير في الغالب، ولكن لحم الدجاجة هو أنفوس اللحوم واغلاها في هذه البلاد حتى اخبرني بعضهم أن الدجاجة الواحدة تباع بأربعين (تাকা) أي بثمانية ريالات بالصرف الرسمي على حين انها في بلادنا بستة ريالات وهي أكبر من هذه واسمن والدخول هنا منخفضة بشكل كبير بل مفرع في بعض الأحيان إلا أن لحم الغنم عندهم رخيص بالنسبة إلى الدجاج فالكيلو بثمانية وعشرين تاكا، ولحم البقر بستة عشر تاكا، أما السمك وبخاصة السمك المستخرج من الانهار والمستنقعات الداخلية فإنه ارخص من ذلك بكثير لأنه ليس بالجيد، وإنما الجيد هو السمك المستخرج من البحر وهو أغلى من النهري لأنه ينقل نقلاً إلى العاصمة، وقالوا: إن المطعم هذا لا يقدم إلا الدجاج .

ورأيت من الازدحام وعدم النظافة في هذا المطعم مانفرتني عنه، فطلبت الذهاب إلى مطعم آخر فذهبوا بالفعل إليه فإذا به ليس بعيداً عن الأول إلا أنه يقدم سائر اللحم .

ولما كان من غير المناسب الجلوس في القاعة الرئيسية في المطعم لكون الناس يزدحمون على موائدها وكونك تجلس على مائدة فيشاركك غيرك الجلوس عليها من غير أن تدعوه إلى ذلك فقد أخذنا اخواننا إلى ما يشبه الغرفة الصغيرة من غرف محيطة بالقاعة الرئيسية ومسدل عليها ستارة من القماش المتسخ وقد وضعوها لجلوس النساء ولأكل من يريدون الانفراد.

وانتظرنا قليلاً حتى فرغت إحدى الموائد المنعزلة ودخلنا فجاء خادم المطعم وسخ الثوب والبدن والأدوات وهو يستعجلنا في الطلب نظراً لكثرة الشغل وازدحام الرواد وطلبت سمكاً وارزاً فجاءوا بالأرز قليلاً وجاءوا بالسمك في وسط المرق ولا أدري أي نوع من السمك ولكنه ليس له طعم السمك الذي نعرفه وله عظام كما تكون العظام التي هي بين عظام الغنم وعظام الدجاج ، وبدأ الزملاء يأكلون مثل ما كل الناس يأكلون إذا جاءهم صحن الأرز يللم الرجل أطرافه بأطراف أصابعه كأنما يخلطه بها ثم يمرس بعضه مع بعض ليدخل الادم إلىه ثم يبدأ الأكل بيد واحدة ولا يستعملون المعلقة في الأكل مطلقاً.

وبعد الأكل جاءوا بالتنبول وهو ورق التنبول الأخضر وورقة من أوراق التبغ اليابس وشيء من الجير أو النورة كالمالح وشئ آخر لا أعرفه بضع المرء مقداراً من هذه الاشياء قليلاً في وسط ورقة التنبول الخضراء التي هي أكبر من ورقة الليمون وأوسع إلا أن شكلها الخارجي يشبهها ثم يضعها في فمه ويلوكها.

وعندما (تنبل) أخونا الدكتور مستفيض الرحمن سألته: ما فائدة هذا التنبول؟ فقال: ما فائدة الشاي والقهوة؟ فقلت: الأمر مختلف وأنا أريد أن اعرف فقال إنه يسهل الهضم فقلت: قف أولاً أن ذلك موضع شك فإن سائر الناس خارج الهند لا يأكلونه ولا يشكون شيئاً حول الهضم وثانياً: انتم في بلاد الهند على وجه العموم لا تحتاجون إلى ما يسهل الهضم لأن طائفة منكم كبيرة تشكو من الجوع فلا حاجة للإكثار من الأكل حتى يحتاج إلى شئ يهضمه.

ثم قال: وشئ آخر وهو أنه يسر النفس أو هكذا يقول من تعود أكله فقلت: وهذا أيضاً يدل على أن فيه شيئاً وعلى كل حال فإن أهل الهند لا يقبلون قول القائلين في التنبول.

وخرجت من هذا المطعم وأنا نادى على دخوله لأنني عندما ذهبت لا غسل يدي رأيت الناس يغسلون أيديهم اليمنى وأفواههم وهم لا يتحاشون من رفع الصوت بالحنحة وما يتبعها وكان ثمن الوجبة لثلاثة أشخاص من الأرز البرياني والسّمك والدجاج واللحم هو (٥١) تاكا أي عشرة ريالات وربعا.

وهذا المساء :

وانقضى هذا المساء مع عدد من الشخصيات الكريمة من المهتمين بالشؤون الإسلامية في هذه البلاد وكلهم من ذوي المناصب العالية، وكان من المقرر في البرنامج زيارة المركز الإسلامي في داكا ولكن تأخر لدينا بعض الزوار في الفندق فتأخرنا في زيارته فلما ذهبت إليه مع الدكتور مستفيض الرحمن والاستاذ نور محمد أخني المدير العام للبريد في هذه البلاد وغيرهما لم نجد فيه أحداً ووجدناه مغلقاً وكان الوقت متأخراً وأنا بحاجة للنوم، لأنني سوف أسافر في الصباح المبكر غداً إلى شيتا كنج و(كوكس بازار) فقلت ما قالته العامة في مصر في أمثالها (بركة اللي جت منك يا جامع)

يوم السبت ١٦ محرم ١٣٩٩هـ ١٦ ديسمبر عام ١٩٧٨م

إلى شيتا كونج :

شيتا كونج هي المدينة الثانية بعد العاصمة داكا من حيث عدد السكان وهي مهمة لأنها الميناء الرئيسي لهذه البلاد وليس السفر إليها بغية الذهاب إليها وإن كانت تستحق الزيارة وأنا أحب أن أزور جميع مدن هذه البلاد وقراها غير أن الوقت لدي قصير لذلك كانت زيارتي لها من أجل السفر منها إلى بلدة (كوكس بازار) قرب الحدود مع بورما وذلك لزيارة المستشفى الذي أقامته رابطة العالم الإسلامي هناك لاغاثة اللاجئين المسلمين البورميين الذين هربوا من بلادهم إلى بنجلاديش من ضغط البورميين عليهم.

ففي تمام الساعة السادسة كنت في مطار داكا وكان موعد الحضور السادسة والربع غير أنني بكرت من باب الاحتياط فوجدتهم لم يفتحوا المكتب وعند الموعد المقرر فتحوه واخذوا على كل مسافر مبلغ خمسة (تاكات) رسماً لمغادرة المطار مع أنها رحلة داخلية.

وفي الساعة السابعة تماماً كما كان مقرراً تحركت الطائرة وهي تابعة لخطوط بنجلاديش ويسمونها أختصاراً (بيمان) وهي طائرة ذات محركين مروحيين من طراز (هوكر هنتر) التي تحمل أربعين شخصاً.

وأعلن المضيف أن الرحلة ستكون اربعين دقيقة إلى شيتا كونج، وبعد أن ارتفعت الطائرة اتضحت معالم المنطقة التي فيها العاصمة (داكا) وقد رأيتها قبل أيام من الطائرة في اقبال الليل واختلاطه بالنهار وبدأت أرضاً اشبه بمجموعة من المستنقعات منها بالأرض المعتادة المأهولة غير أن هناك اشجاراً وبيوتاً كثيرة ثم ارتفعت الطائرة واستمر ظهور المستنقعات والمياه والانهار تحتنا.

هذا وكان يقوم بالخدمة في الطائرة مضيفان رغم قلة ركابها قدما في أول الأمر صحفا بالإنكليزية والبنغالية وفيها عناوين كبيرة بأن هذا اليوم هو يوم النصر كما يسمونه وهو اليوم الذي انفصلوا فيه عن باكستان بمساعي الهند بقوة حراب جيشها ثم قدما شطيرة من الساندويتش ملفوفة بكيس نظيف من اللدائن وبدأخلها زبدة وبعدها جاؤا بالشاي المزوج بالحليب، هذا ونحن في رحلة داخلية قصيرة وفي طائرة صغيرة، فأين ذلك من بخل الشركة الهندية حتى على طائراتها النفثة؟

وكانت الخدمة جيدة والمقاعد مرقمة رغم كون الطائرة لم تمتلئ كل مقاعدها ورأيتهم استعاضوا عن ذلك بأن شغلوا المكان الخالي من الركاب بأشياء محمولة لا أدري ماهي لأنها ملفوفة.

هذا والمنظر اسفل منا لا يزال غريباً إذ هو مستنقعات ومجاري مياه والمستنقعات ليست غير نافعة أو مجرد ادغال وإنما هي حفر كبيرة مليئة بالمياه لتربية الاسماك وحقول من الارز مغمورة بالماء لريها، أو نحو ذلك وأحيانا تكون مياهها زائدة عن الحاجة متروكة.

في مطار شيتا كونج :

تدنت الطائرة بغية النزول للمطار فظهر لي منظر ميناء شيتا كونج الذي هو الميناء الكبير في بلاد البنغال هذه التي كانت تسمى باكستان الشرقية قبل الانفصال، وإذا بالبواخر العديدة قد ارسى مراسيها في هذا الميناء الذي هو نهري

وليس بحرياً مياهه حمراء من الطمي ولكنها تختلط بمياه البحر الزرقاء بعد مسافة من ذلك ويرى المرء المياه والمستنقعات هنا كما يراها في غيرها من هذه البلاد وإن كان أكثرها مستنقعات يستفاد منها .

وقد نزلت الطائرة بسرعة في المطار وذهبنا مع ممر كتب عليه أنه للمسافرين الدوليين وما أسرع أن خرجنا من بناية المطار كلها فهي صغيرة إلى درجة ملفقة للنظر مع أن المدينة هي المدينة الثانية في البلاد من حيث عدد السكان وهي الميناء الأول لها ويبلغ عدد سكانها نصف مليون نسمة غير أنه من الواضح أن كثيراً من السكان لفقرهم لا يستعملون الطائرات .

ذهبت فوراً إلى مكتب الترحيل أريد أن أتأكد من سفري بعد قليل إلى بلدة كوكس بازار فأخبروني أن الطائرة ستقوم في التاسعة وعشر دقائق وكنا قد وصلنا إلى شيتا كونج في الساعة واربعة وأربعين دقيقة بعد أربعين دقيقة من الطيران وأنه يجب عليّ أن احضر قبل ذلك بنصف ساعة وقال الموظف إنه يمكنك أن تجلس في القاعة الخارجية وهي مدخل البناية أو في المقهى وهو في مكان بعيد نوعاً منفصل عن مبنى المطار فضلت الجلوس في المدخل لأنني كنت فيه وحدي .

إلى كوكس بازار :

جئت إلى الموظف في الموعد المحدد فأخذ مني موظف خاص رسماً قدره (خمس تاكات) أي ريال سعودي واحد ثم دخلنا إلى قاعة المسافرين في المطار ولبثت فترة وحدي ، وكانوا يفتشون الحقيبة اليدوية تفتيشاً عادياً ومع المفتش قضيب فيه الكهرباء يمرره على جسم الإنسان ولا يمسه كما يفعل أهل الهند .

وقامت الطائرة متخلفة عشر دقائق عن مواعدها على خلاف سابقتها ولكن مدة عشر دقائق لا تعتبر تأخيراً حتى بالنسبة للطائرات العالمية .

وكانت من النوع نفسه الذي ركبته في الصباح من دكا إلى شيتا كونج أي ذي المروحتين المخصص لحمل أربعين راكباً وكانت الطائرة مليئة بالركاب وفيها مضيفان وقد قاما بتوزيع الصحف كالعادة ثم أعلن مكبر الطائرة بأن الطيران سوف يستغرق سبع عشرة دقيقة وأن ارتفاع الطائرة سيكون النفي قدم .

وكان طيراننا ممتعا ومن لطائف هذه الشركة البنغالية الصغيرة إلى دقة مواعييدها أنهم حتى في هذا الطيران القصير قدموا علبا صغيرة مغلفة باللدائن داخلها كيس من اللدائن ايضا يحتوي على الحلوى من عدد من الأنواع وكانت مناسبة.

أما الطيران فإنه كان على شاطئ البحر أول ما قامت الطائرة ثم كان الطيران فوق حقول من الأرز الصغيرة. وترصع الأرض تلال جبلية خضراء والتلال الجبلية قليلة في هذه البلاد بل تكاد تكون معدومة في أكثر انحاءها. وبعد ثلث ساعة من الطيران وليس ١٧ دقيقة لامست عجلات الطائرة أرض مطار كوكس بازار.

وهي مدينة صغيرة في عرف أهل هذه البلاد إذ لا يبلغ عدد السكان فيها إلا خمسين ألف نسمة فقط ولا يكادون يسمون مثلها مدينة لا اعتقادهم أنها تستحق هذا الاسم وتبعد عن حدود بنجلاديش مع بورما حوالي ٤٥ كيلو مترا، وتبلغ نسبة غير المسلمين في كوكس بازار ٥٪ مابين هندوكيين وبوذيين.

وجدت في مطار كوكس بازار جمهرة من المستقبلين على رأسهم الاستاذ (مير قاسم علي) مدير مشروع الإغاثة الذي تقوم به رابطة العالم الإسلامي في مكة لإخواننا اللاجئين المسلمين من بورما، وهو المقصود بزيارتي لهذه المنطقة التي تستحق أن تزار لمجرد الزيارة لا لغرض آخر ولكن الوقت لا يساعد على طول البقاء، وكان معه جمع من العاملين في هذا المشروع ومنهم بعض الاطباء والمرضين كما كان قد أحضر إلى المطار سيارتين كتب عليهما بالبنغالية والانكليزية (رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة).

وقصدنا المعسكر الذي يقع فيه المستشفى المذكور ويبعد مسافة ٢٦ كيلو مترا من كوكس بازار فاخترقنا البلدة ثم استرحنا في فندق فيها اسمه فندق سايمون تناولنا فيه القهوة مع إخواننا ومن هناك مباشرة بدأنا رحلتنا إلا أنني طلبت أن نمر بالسوق الرئيسي في البلدة فوجدته من الخشب ومسقوف بعضه بالقش وبعضه بالصفيح، وهذه هي حال الحوانيت فيه واشترينا منه بعض ثمار النارجيل بغية التزود بمائها للشرب لأنه نظيف ولذيذ ومفيد للجسم حسبما ترى لي من التجربة.

ومررنا بمكتب الرابطة في البلدة وعليه الهلال والكتابة بالانكليزية هنا كالعربية في بلادنا لوضوحها لأن عامة الناس يكتبون بالبنغالية لا يكتبون معها لغة أخرى وهي مجهولة الحروف والمعاني بالنسبة لي ولا مثالي .

ومن المصادفات أنه بجانب مكتب الرابطة الذي رسم عليه الهلال يوجد مكتب تابع لجمعية مسيحية رسم عليه الصليب ولكنهما منفصلان وإن كانا متصلين في العمارة ثم تركنا بلدة (كوكس بازار) إلى الريف البنغالي مع طريق ضيق سيء السفلة لا يتسع إلا لسيارة واحدة وإذا تقابلت سيارتان لا بد أن تخرج إحدهما أو تخرج كل واحدة منهما نصفها عن الطريق وهو مرتفع نوعاً فتراها تميل وتشفق أنت أن تنقلب أما إذا صادف تقابل السيارتين عبر جسر فوق أحد الانهار أو مسايل المياه فلا بد لاحدهما من الوقوف حتى ولو تقابلت عربية عادية من ذوات الارجل الثلاث التي يسمونها الركشا وهي كثيرة هنا حتى في الأرياف أو من أختها التي يسمونها (موتور ركشا) أي العربية ذات المحرك وهي أيضاً بثلاث عجلات مع إحدى السيارات فإنه لا بد أن تقف احدهما لأن الجسور التي فوق هذه المجاري أو الأنهار لا تتسع إلا لإحدهما .

وأكثر ما يراه المرء هنا حقول الأرز في حياضه التي بعضها غارق في المياه وبعضها يبذر الفلاحون أو يعالجونه بالشتل ونحوه فتراهم وقد غاصت ارجلهم في الوحل الأسود وهم يحاولون الانتقال من مكان لآخر فيه والعمل وسط هذا الوحل فلا يسعك إلا أن تتذكر أنك كنت في بلادنا العربية تأكل الأرز ولا تدري من تعذب من خلق الله في زرعه وحصاده وتهيبته لأن أهل هذه البلاد لا يعرفون الآليات مطلقاً فهم يزرعون الآن كما كان الانسان الذي عاش في زمن الفراعنة يزرع بدون اختلاف هذا ما لا يشك فيه من شاهدهم .

ومع ذلك يلاحظ المرء في هذه المنطقة الكثير من الابقار التي ترعى في حقول الأرز الذي قطف ولم يبق منه إلا القصب والقش .

أما طبيعة الأرض فهي طبيعة البلاد المطيرة وفي هذا المكان بدأت التلال الخضراء في الظهور ونشاهد إلى جهة الشرق منا جبلاً عالية خضراء تقع خلفها حدود بورما مع بلاد البنغال إلى جانب الحفر المليئة بالمياه الموجودة في أكثر بلاد الهند وهي هنا اظهر لأن نسبة الامطار أكثر .

وقد قابلنا بعض السيارات التي تحمل الحطب من الغابات للوقود لأن الإيقاد بالحطب هو الغالب على أهل هذه النواحي .

وقد أخذت اشجار النارجيل ثقل لأننا أخذنا نرتفع عن سطح البحر وحلّت محلها اشجار من اشجار الغابات غير المثمرة ، وإنما تستعمل للاخشاب لغرض الوقود وغيره ولم نر هنا قرى مسكونة وإنما الغالب هي المزارع والغابات ، وهذه الغابات أكثرها تحتها مستنقعات خضراء يصعب الدخول فيها وبخاصة أن فيها بعض الحشرات وقال لي الاستاذ (مير قاسم علي) انه يوجد فيها من الحيوانات المفترسة النمر .

ومعظم البيوت على قلتها هنا مبنية بالحصر والأعواد المأخوذة من نبات (البامبو) وقد مررنا بحانوت صغير منفرد على الطريق هو من القش من هذا النبات وهو نبات يطول ساقه ويرتفع يصنعون منه المساكن المؤقتة في هذا الجو المطير الذي يكثر فيه الفقر وتقل فيه القدرة على الحصول على الاسمنت والقدرة أيضاً على التفكير في الحياة الأفضل وإلا فان بلادهم هذه غنية بالطمي والطين اللالزب الذي يصلح لأن تصنع منه أنواع جيدة من الفخار المناسب للبلاد المطيرة كما أن القش والاعشاب والاختشاب اللازمة للوقود على الفخار متوفرة أيضاً بشكل كثيف .

معسكر دوها وابالن :

وصلناه في الساعة الحادية عشرة والدقيقة العاشرة وقصدنا المستشفى الذي أقامته الرابطة هناك وكان أول ما لفت نظري أنه مثل مركز جمعية المساجد الذي أقامته في (تونقي كامب) وزرته امس كله مع باحاته وغرفه ودهاليزه والحواجز المقامة على أفنائه حتى بواباته الخارجية كله مبنى من القش والاعواد أو قل من اعواد (البامبو) ماعدا بعض الدعائم الخشبية في اسفل البناء الذي يكون عليه جدران تكون كالاعمدة في البنيان المعتاد حتى البوابة وضعوها مزينة بعقد من هذه الأعواد يضاف إلى ذلك قسم من الخيام كانت الرابطة قد احضرتها لتكون بمثابة إسعاف عاجل لأن صنع هذه المنازل من أعواد (البامبو) وحصره تحتاج إلى وقت ليس بالقصير لأنها تصنع باليد والذين يستطيعون صنعها اناس مخصوصون يكونون قد مروا على ذلك ومهروا في صناعته .

وقصدنا أول ما قصدناه غرفة الادارة العامة في هذا المستشفى ، أو قل هذا المعسكر الذي يضم مستشفى وما هو أهم من ذلك مثل دار العجزة الذين ينتظر برؤهم ودار الذين يعانون نقصاً في التغذية وهذا المعسكر يسمى معسكر (دوها دابالن) اضافة إلى اسم المكان الذي يقع فيه ويسمى بهذا الاسم . وقد بدأ العمل به في شهر رجب من عام ١٣٩٨هـ .

ويعمل فيه سبعة من الاطباء وسبعة من الممرضين إلى جانب عدد من العمال الآخرين وكلهم من البنغاليين .



أكواخ من القش في بنجلاديش

وبعد استراحة قصيرة تضمنت التعرف على الإخوة العاملين فيه قمنا بجولة مع مدير المستشفى ومع الأخ مير قاسم المسؤل عن مشروع الاغاثة جميعه على كافة اقسام هذا المستشفى العجيب فكان من ذلك عدة عيادات مبنية بالحصير والقش كما سبق حتى نوافذها من القش وإن كان بعضها يكون له إطار من الخشب والعيادة فيها مكتب خشبي محلي وكروسي أوكروسيان ايضاً من صنع محلي ومن خشب محلي أيضاً .

ومن هناك كان الاطلاع على غرفة نوم المريض من الرجال وهم في عنبر واحد كبير ذي سرر مصفوفة وعليهم اغطية من البطانيات الجميلة التي لا توجد في الهند كلها علمنا أنها ارسلت من الرابطة بأعيانها وأكثر هؤلاء لا تظهر عليهم علامات نقص التغذية مع المرض وهناك من هم مرضى بأمراض عادية وقال لي الأطباء: أن أكثر الأمراض شيوعاً عندهم هي الملاريا وفقر الدم الذي هو في الحالات العادية ليس مرضاً وإنما هو بسبب فقد التغذية.

ومن المؤسف أنه لا يوجد لديهم دم ينقل للمحتاجين إليه، ولا يوجد لديهم حتى بلازما الدم.

ثم انتقلنا إلى مشاهدة غرف النساء وهن تحت رعاية اثنتين من الممرضات وطبيبة مسلمة بل إن جميع العاملين فيه هم من المسلمين حتى العمال البورميون الذي يجيدون صناعة المنازل من اعواد (البامبو) هم من المسلمين بطبيعة الحال لأنهم كلهم من اللاجئين الفارين من بورما من منطقة اراكان وسيأتي بيان سبب هربهم من بورما ولجئوهم إلى بلاد البنغال.

وأكثر النساء ممن يستحين فتشريح المرأة منهن بوجهها عن الرجال رغم كونها مريضة كما أنهن متسترات، وجميع النساء البورميات واللاتي هن من أهل هذه المنطقة في بلاد البنغال يلبسن لباساً ساتراً مع أن نساء أهل البلاد لا يرين إلا قليلاً ماعدا الفلاحات اللاتي يساعدن الرجال في اعمال الحقول.

ثم كان الذهاب إلى قسم الاطفال وأكثرهم أطفال يرثى لهم ففيهم من هو في حاجة إلى التغذية وفيهم من هو مريض حقا ولكن لا يوجد العلاج اللازم وأكثر الأمور إيلا ما للنفس أنك تجد فيهم من هو مصاب بفقر الدم ويحتاج إلى ما يسعفه فلا يوجد ذلك، وإنما كل ما يفعله هذا المستشفى الصغير ان يعطيه بعض العقاقير لعلاج المرض ثم يقيه فترة من الوقت في المستشفى يعالجه بالغذاء.

والاطفال على اسرة ومع كل طفل أمه أو المرأة المسؤلة عنه وقد لاحظت أن بينهم بعض البنغاليين فسألناهم عن السبب مع أن هذا المستشفى اقيم في الاصل للبورميون اللاجئين؟ فأجابوا أنه لا يوجد مستشفى حكومي إلا مستشفى بعيد وهو علاوة على ذلك فقير بالادوية والعلاج اللازم فيأتون إلى هذا ابتغاء الافضل

ونحن لانستطيع أن نردهم إذا جاؤا إلينا لأنهم اخواننا كما أن البورميين إخواننا ولهم حق كما أن أولئك لهم حق ، ويقولون ايضاً إن هناك عدة مستوصفات ومستشفيات للجمعيات المسيحية ويذهب إليها الناس إذا لم نعالجهم نحن .

وقالوا: إن هذا المستشفى هو الوحيد الذي تقيمه جمعية إسلامية في هذه المنطقة وذلك لقلة امكاناتها ولأن الحكومة لاتساعد الجمعيات الإسلامية بشئ لا على شؤون التعليم الإسلامي ولا على غيره من الشؤون والادهى من ذلك انها تترك هؤلاء المسلمين المحتاجين من رعاياها للجمعيات النصرانية التي تخالفها في الدين تفعل فيهم ماتشاء بحجة الفقر والحاجة إلى مساعدتهم .

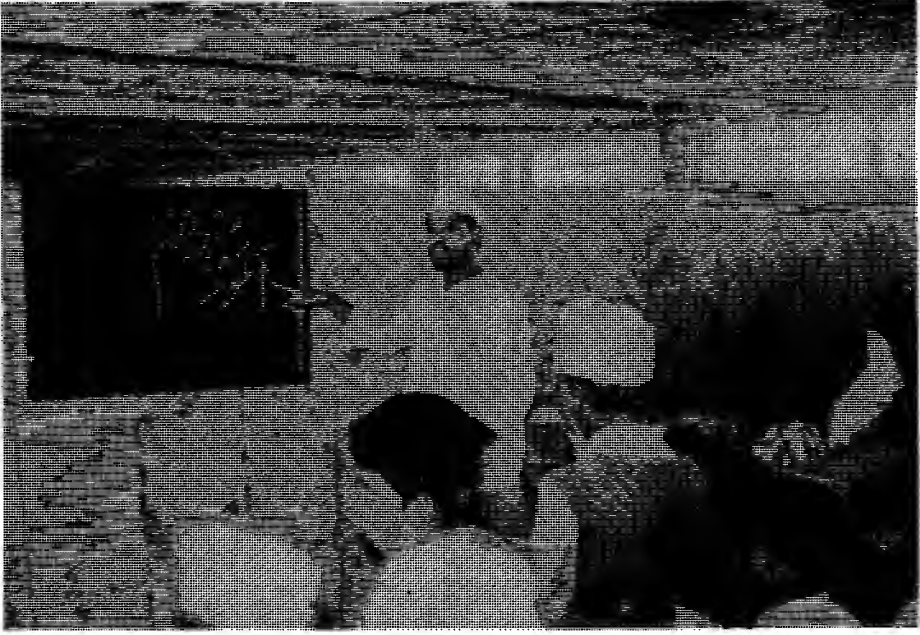
ومن هناك انتقلنا عبر رواق متطامن السقف من هذا البناء الذي يشبه الخيمة الكبيرة إلى غرفة العمليات وهي غرفة عادية من القش فيها سرير وعليه بعض أدوات التطهير مثل ادوات غلي المعدات والكحول ونافذتها قثية مفتوحة فسألتهم عند العمليات كيف يعملون بها؟ قالوا: نغلقها بشئ من الصعوبة .

ثم كان الذهاب إلى المطبخ وهو نفسه قش من القش وأعواد من الأعواد، ولايظن ظان أن هذه الاعواد يسقط منها شئ في الطعام أو غيره فهي نظيفة ومتماسكة وهي في الحقيقة جيدة لمثل هذه البلاد التي لا يوجد فيها برد لأنها تقي الشمس ولاتقي البرد إلا أنها مكلفة ولاتعمر طويلاً .

ورأينا الطعام مؤلفا من الارز والعدس مخلوطين ومعهما شيء من الإدام ثم هناك الخضروات التي جمعت جميعاً وأرونا مكانين قد زرعوا فيهما خضروات على أمل أن يستعملوها في المستقبل وهي نابئة نامية، والماء هنا متوفر ولكنه من الأرض فلايوجد مشروع للمياه وإنما يحفرون في الأرض فيغرزون فيها انبوبة حتى إذا وصلت إلى عمق عشرين متراً وجدوا ماء عذباً صافياً واستطاعوا أن يأخذوا منه بالمضخة اليدوية التي يوجد عندهم في هذا المستشفى منها أربع .

أما الكهرباء فإنه لا وجود لها هنا وإنما يستعملون في الليل مصباحاً زيتياً وينامون مبكرين .

وفي الختام كانت الجولة على مكان مخصص للذين يحتاجون إلى عناية خاصة من المرضى ثم ذهبنا إلى غرفة أحد الاطباء ويسمى (سليم) وكان فيها عدة كتب منها موسوعة طبية بالانكليزية وكتاب تعليم اللغة العربية بالبنغالية والعربية .



فصل تعليم العربية للأطفال

وهذه المنازل تعكس الصعوبة التي يعيشها الأطباء والعاملون إلى جانب اللاجئين في هذا المكان .

والأطباء والعاملون كلهم من البنغاليين وهم يعملون في ظروف غير مناسبة من حيث نقص المعدات ووسائل العلاج غير أن في عملهم خيراً كثيراً بالنسبة إلى عدمه وهو خير ونفع للمسلمين وبادرة طيبة يرجى أن تكون سابقة خير وقد قدموا كثيراً .

ورأينا أعداداً كبيرة من الرجال من شيوخ ومرضى من الأطفال والنساء يراجعون المستشفى ويحصلون على المعالجة وما تيسر من المعالجة والاسعاف .

الأسباب وراء نزوح البورماويين :

لا بد من كلمة في إيضاح الأسباب التي حملت الإخوة المسلمين البورماويين على اللجوء إلى بنجلاديش وترك ديارهم .

وذلك أن حكومة بورما تطبق منذ الاستقلال قانونين للجنسية الأول قانون جنسية «الاتحاد البورمي» والثاني قانون جنسية «الاتحاد البورمي» (لانتخابات) لعام ١٩٤٨ م.

وبعد مضي سنوات عديدة اشاعت الحكومة بين أفراد شعبها بأن تلك القوانين تحتوي على كثير من الثغرات والقصور ادخلت عمداً من جراء ضغط خارجي عند الاستقلال وبناء على هذا السبب قدمت الحكومة البورمية إلى الشعب يوم ٤ يوليو ١٩٨٠ م (٢١ شعبان ١٤٠٠ هـ) مسودة لقانون الجنسية فيه تعريفات وقواعد أكثر تتعلق ببعض الطوائف «الجماعات» كجماعة الروهانجييين في أراكان والصينيين والماليزيين المسلمين في جنوب بورما وغيرهم.

واقترحت الحكومة البورمية أربعة أنواع من الجنسية هي :

(أ) الرعوى (ب) المواطن

(ج) المتجنس (د) عديم الجنسية

وسيكون من حق النوع الأول (الرعوى) والثاني (المواطن) التمتع بحقوق متساوية في الشؤون السياسية والاقتصادية وإدارة الدولة كما سيكون لهما الحق في الاشتراك في هيئات السلطة التي تضع مبادئ هامة وتتخذ قرارات في الدوائر التي تنفذ برنامج العمل بموجب المبادئ التي وضعت وفي القوات المسلحة للدولة وفي الاشتغال في الإنتاج والتوزيع .

أما المتجنس فإن حالة التجنس يحصل عليها بطلب رسمي ولصاحبها حقوق محدودة ولن تكون من هذه الحقوق بأي حال من الأحوال العمل في تمثيل الشعب وفي أمن الدولة وفي رئاسة هيئات الخدمة .

وأما عديم الجنسية فيحتجز في السجن لمدة محدودة ثم تحدد اقامته في مناطق معينة «معسكرات اعتقال» ويفرض عليه العمل في الإنتاج فإذا احسن العمل في معسكرات الاعتقال اثناء الفترة المحددة فقد يسمح له بحمل شهادة تسجيل الاجانب على أن يعيش في منطقة محددة في البلاد .

تعليق :

نتيجة للتجارب الماضية المتعلقة باصدار قانون جديد في بورما يفترض أن صياغة مشروع قانون الجنسية الحالي سيواجه تعديلات طفيفة فقط عند سنه ، أي أن البنود الرئيسية قد لا تتعرض لأي تغيير ، وعليه سيكون تأثير القانون شديداً على مسلمي اراكان ومن المحتمل أن يصادق على المشروع من يعتبرون عملاء للحكومة من المسلمين .

وعندما يسرى تنفيذ القانون الجديد فإن من المشكوك فيه أن يحصل على الجنسية عشرون بالمئة من مجموع مسلمي اراكان ، هذا عدا معاملتهم كأنهم غير مواطنين في الاتحاد البورمي رغم الاعتراف بهم كمسلمين روهانجيين ورغم دعوتهم لحضور الاحتفال باليوم الوطني ووجود برنامج خاص لهم في الاذاعة قبل مجيء الحكومة الحاضرة إلى السلطة .

وتفيد بعض المعلومات أن كثيراً من مسلمي اراكان يفكرون الآن في التقدم بطلب التجنس الذي قد يكون أكثر سهولة في الحصول عليه من الرعوية ، وفي مثل هذه الحالة سوف تتضاءل دعوى جماعة الروهنجيا بكونهم سلالة عرقية في أراكان وسوف يكون في ذلك من ناحية أخرى انتصار عظيم لحكومة بورما أمام المحافل الدولية ، وعليه فإن قبول منح هذه الجماعة حق التجنس يقع تماماً تحت رحمة الحكومة البورمية .

وقد اعدت الحكومة إلى جانب ذلك بعض الاجراءات التي يراد بها الغاء حق الرعوية والمواطنة بحيث يتحول من تصنيفهم تلك الاجراءات في النهاية إلى حالة ادنى من مستوى البشرية حياتهم وبدون أن يكون لهم أي ملجأ يفرون إليه ، كذلك يفترض أن يسقط جيل الشباب المتعلمين من المسلمين بسهولة فريسة لمعسكرات الاعتقال لعذر أو لآخر وهكذا ينجح المشروع الذي طالما حلمت به الحكومة البورمية بحيث ينعلم أي أثر للمسلمين في مكان كانوا يشكلون فيه الأكثرية حتى عام ١٩٤٢ على الأقل .

إن بورما تشهد الآن اعداد القبور المهيئة للمسلمين وخاصة اولئك الذين يعيشون في اراكان لكونهم لا يقبلون المساومة على دينهم رغم تخلفهم الاقتصادي والثقافي ورغم تعرضهم للتعذيب سياسياً واجتماعياً .

وهذا إضافة إلى الحملات العسكرية لإرهاب المسلمين في أراكان وقتل من يقاوم منهم ومصادرة ممتلكاتهم مما حملهم على اللجوء إلى بنجلاديش .

العودة إلى كوكس بازار :

بدأنا العودة إلى كوكس بازار في الساعة الواحدة ظهراً وكان في نيتي أن أزور الحدود البورمية التي تبعد من هذه النقطة حوالي ٢٨ كيلو متراً غير أن الوقت كان ضيقاً فممررنا بمكتب الرابطة وصلينا الظهر والعصر جمعاً فيه ثم قصدنا من البلدة بيت الأخ (محمد أبو القاسم) لتناول طعام الغداء عنده وهو بيت جيد البناء تدخل إليه من حديقة واسعة على الشارع العام فيها اشجار الفاكهة من المانجو والليمون (البنزهيز) .

وقد رحب بنا الأخ محمد أبو القاسم وكان من المصادفات أنه كان عائداً لتوه من مكة المكرمة بعد أن أدى فريضة الحج هو وزوجته وهو رجل ودود بشوش الوجه خفيف الروح على قلة في الذين يتمتعون منهم بالظرف وخفة الظل مع أن ذلك لا يعيبهم ولا يقدح فيما يقومون به من أعمال جليلة .

وكان طعامه أيضاً مقبولاً لنا فليس فيه فلفل كثير ولا بهارات مبالغ فيها وقد اختار أغلى أنواع اللحوم ثمنا في هذه البلاد الذي هو أرخصها في بلادنا وهو لحم الدجاج فاحضر منه أنواعاً بعضها مع الارز وبعضها وحده كما كان هناك سمك صغير من نوع الاربيان (الروبيان) وقد حضر الطعام معنا عدة اشخاص وكان الحديث خلاله عن هذه البلاد شيقاً .

وبعد الطعام وغسل الايدي الذي يصنعون به كما كنا نصنع في نجد عندما كنا نحضر الماء مع الصابون ليغسل الضيوف ايديهم في وعاء فرفضت ذلك وقلت ارجو ان تدلونني على حوض الحمام حتى اغسل فيه يدي لأنني لا أريد أن يرى غيري ما قد استعملته من الماء والصابون ولكني تذكرت وأنا مع مضيفنا الأخ محمد أبو القاسم ندخل إلى داخل البيت أن معظم البيوت في الهند لا يكون الحمام فيها قريباً من غرفة الاستقبال وإنما يكون في داخل البيت .

وقد لفت نظري وأنا أمر في إحدى الغرف ما يشبه المائدة القصيرة الارجل التي لا يزيد ارتفاعها على قدم واحدة سألت عنها الأخ محمد أبو القاسم فأخذ سجادة

للصلاة كانت قريبة منه وفرشها فوق هذه المائدة وقال هذه تصلي عليها زوجتي وهذه المائدة التي ترفعها إنما هي لوقايتها من تلويثها بالنجاسة من الأطفال ونحوهم .

مدرسة البنات :

حضر أحد الأشخاص إلى بيت السيد محمد ابوالقاسم وقال إنهم يؤسسون مدرسة إسلامية للبنات وإنها تحت رعاية جمعية رئيسها السيد محمد ابوالقاسم نفسه ويرغب أن نزورها فمررنا بها فإذا بها فضاء من الأرض قال إن الحكومة اعطته إياها وعليها سور من اعواد (البامبو) وقد بنى فيها حجرة واحدة كبيرة صنعت مقاعد حول جدرانها من الداخل وهي مبنية من اعواد البامبو أيضاً، فقلت لهم ماذا عندكم غير هذا؟ فأجاب: لاشيء غير هذا لأنه ينقصنا المال ونحن نحتاج إلى خمسين ألف (تাকা) ليتمكن بناء المدرسة بناء جيداً بالملح مع العلم بأن هذا المبلغ يساوي عشرة آلاف ريال .

المدرسة الهاشمية :

كانت المكان الوحيد فيما شاهدناه الذي عليه حرف بالعربية إذ كتبت عليها عبارة (المدرسة الهاشمية) باللغة العربية وباقي اللافتة بالبنغالية إلا أننا عندما دخلناها وجدناها مركزاً من مراكز تعليم اللغة العربية والدين الإسلامي في هذه البلدة غير أن التعليم فيها يسير على الطريقة التقليدية ويكفي أن يعرف المرء أنهم يدرسون كتب الحديث الكبيرة المطبوعة في الهند وقد أرونا طبعة منها في مدينة (كلكتا) .

وهي مدرسة عريقة أسست عام ١٣٥٨ هـ وخرجت أفواجا من الطلاب ، وطلابها اقوياء العربية بالنسبة إلى غيرهم وإلى ضعف اللغة العربية في جميع بلاد البنغال بل عدم وجودها في أكثر الأحيان وفي المدرسة مكتبة جيدة كلها بالعربية وقال المدير الشيخ مظهر الحق بن مير حسن: إن الصعوبة التي نلاقيها يأتي معظمها من عدم وجود الكتب العربية لأنه لا يطبع في بلاد البنغال منها شيء وإنما تأتي بها من الهند أو باكستان أو البلاد العربية .

وقال : إن الدراسة في هذه المدرسة على ثلاث مراحل : الأولى مدتها ٦ سنوات ونسميها مرحلة الداخل والثانية أربع سنوات واسمها الفاضل ، وأنشأنا حديثاً مرحلة أعلى اسميها مرحلة الكامل ، وندرس فيها أمهات كتب الحديث كالصحيحين والمسند .

وقال: إن عدد الطلبة فيها يبلغ أكثر قليلاً من ثلثمائة ، وعدد المدرسين خمسة عشر ، وسألته عن راتب المدرسين فقال إنهم على ثلاث درجات الأولى مرتب الدرجة الأولى (٤٥٠) تاكا والثانية ثلثمائة والرابعة مائتان وخمسون أي (٩٠) ريالاً وستون ريالاً وخمسون ريالاً على الترتيب هذه هي رواتب المدرسين التي منها يعيشون وبها يعملون فقلت للمدير الشيخ مظهر الحق إذا كم تبلغ مصاريف المدرسة في الشهر؟ فأجاب : أربعة آلاف تاكا فقلت : لابد إذاً أن بعض المدرسين يعملون عندكم محتسبين فهل هذا المبلغ يكفي؟ فقال بالحرف الواحد وجميع الكلام معه كان بالعربية: لا ياسيدي نحن نعيش بالكفاف .

وبناية المدرسة بالاسمنت المسلح ومظهرها جيد سألت المدير عما يحتاجونه حاجة ملحة في الوقت الحاضر؟ فقال: إنه المسجد ، إننا نصلي الآن في غرفة فقلت له : كم يلزم لذلك من المال؟ فأجاب: إنه مبلغ خمسين ألف تاكا أي عشرة آلاف ريال .

وفي ختام الزيارة قدم المدير أحد الطلبة وقال إنه يريد أن يسمعكم شيئاً من تلاوة القرآن الكريم واسمه (محمد شاه) فقرأ آيات من القرآن الكريم بتلاوة مجودة جيدة .

العودة إلى شيتا كونج :

بدأنا رحلة العودة إلى شيتا كونج من (كوكس بازار) في الساعة الثالثة والنصف وسألت الأخ (مير قاسم) عن المسافة فقال إنها ستة وتسعون ميلاً ولكن لا تظن أنها كالمسافة في بلادكم أنها تساوي مسافة ثلثمائة ميل عندكم فقلت له: انها تساوي أكثر من ذلك إذا كان الطريق إليها مثل الطريق إلى معسكر (دوهاوا بالين) قال: إنها مثلاً .

لقد بدأنا السير وبدأ معه استعمال منبه السيارة ولو قال المرء: إن المنبه سوف يكون مشتتلاً طيلة كون المحرك مشتغلاً لما قال غير الحقيقة ذلك بأن الطريق يحفل بالدراجات العادية والنارية التي يسمونها كلها الركشا وهذه العربات ليس فيها مرآة أمام السائق يرى منها ما خلفه، ولو وضع المرأة لما استطاع لأنه خلف العجلة الامامية وخلفه جسم العربة التي يحمل فيها الناس وهي على عجلتين خلفيتين أي: اعرض منه كثيراً ولا ينفعه في هذه الحال إلا مرآة متقدمة أي مصنوعة وفق مقاييس فنية وهي غير موجودة هنا والناس عنها في شغل بلقمة العيش أو السلامة من السفر بالأرجل ولو كان ذلك على حمار مع العلم بأنني لم أر في كل هذه الارياض حماراً واحداً ولا أدري السبب.

وكأنما كان صانعو عربات الركشا لم يكونوا يتوقعون أن تسير في طريق تسير عليه السيارات لذلك لم يجهزوها بمرآة مع العلم بأن المرايا أصبحت الآن ضرورية لكل العربات الصغيرة والكبيرة.

والطريق ضيق لا يتسع لمرور سيارة واحدة فالدراجة التي هي عربة الركشا بعد صنع مركبة عليها تسير في الطريق الاسفلتي والطريق لا يتسع لمرور سيارة معها وسائقها لا يستطيع أن يبصر السيارات من خلفه فيبعد عن طريقها لذلك يضطر سائق السيارة إلى أن ينبهه ببوق سيارته ولا يكفي فيه المرة أو المراتن، أو التنبيه المتقطع بل لابد من أن يظل البوق مزعجاً حتى يزعجه ويخلي الطريق الضيق لمرور السيارة.

هذا إلى جانب أفواج المارة من الفلاحين الذين ينقصهم الوعي والذين يسيرون مع الطريق لأنه مرفوع والذي بجوانبه من الأرض غير صالح للسير لوجود حشائش وأخشاب وعوائق أخرى فيه، فيضطر السائق إلى أن يزعجهم بالبوق حتى يبتعدوا عن الطريق.

أما المشكلة الكبيرة فهي ما إذا أقبلت سيارة شحن تحمل أخشاباً أو حافلة كبيرة تنقل ركاباً فإنه لابد من أن تقف السيارتان كلتاهما المقلبة والذاهبة حتى تخرج كل واحدة منهما جزءاً منها أو كلها عن الطريق وإلا اصطدمتا وإذا ما خلا الطريق من هذا وذاك مع أنه قلما يخلو من ذلك فإنك تجد جسراً ضيقاً يضطر من يكون فيه

من الناس ماشياً أن يقفز في جداره أو يتعلق به حتى يسمح بمرور السيارة فوق الجسر، لأنه لا يتسع لأكثر من سيارة واحدة وعليك حتى إذا كان خالياً أن تتمسك بالسيارة لأنه يكون مرفوعاً عن بقية الطريق لينتبه السائق إلى وجوده حتى لا يضل فيسقط في هوة المجرى المائي.

وإذا كان لا هذا ولا ذاك مما ذكرته فإنك ربما لاتعدم أبقاراً وماعزاً من ماعز أسود صغير جداً أو يكون أحمر ولكن صغر الحجم يلزمه.

والدجاج لها نصيب في الطريق وبخاصة في القرى، والكلاب على قلتها موجودة وتعيق المرور وشيء آخر لم أره عند غيرهم وهو طائر صغير شبيهه بالبغبغاوات الوحشية اصغر من الحمامة ويقول الأخ مير قاسم: إنه هزيل ضعيف فهو ينتشر في الطريق بكثرة مزعجة ولا أدري ماذا يجد فيه.

وإذا حالفك الحظ ولم تجد شيئاً مما ذكر لفترة قليلة من الوقت فإنك قد تجد أن الطريق ذاته فيه خراب وأنه يحتاج إلى تعمیر.

هذه حالة هذا الطريق الطويل الممل في هذه المنطقة الموغلة في أدغال بلاد البنغال التي لا أثر ولا وجود فيها لغير اللغة البنغالية فلا تعرف منها شيئاً ولا أثر ولا وجود فيها لغير الجنس البنغالي المسلم فلا ترى وجهاً لآدمي من جنس آخر.

يوم النصر :

من سؤ حظنا أن كان هذا اليوم هو الذي يسمونه يوم النصر وهو يوم انفصالهم عن شقيقتهم باكستان وتأسيس الدولة البنغلاديشية وهو في الحقيقة يوم النصر الحقيقي للهند لا لهم ولا لغيرهم من المسلمين فقد تركهم هذا اليوم لقمة سائغة للهند تفعل بهم ما تريد دون أن تخشى من أن يكون لذلك رد فعل من أحد، وهو اليوم الذي جردهم من اسباب قوتهم فأصبحوا لاحول لهم ولا قوة لا من القوة الإقتصادية ولا الصناعية ولا العسكرية ولا حتى الكفاية من الاشياء الضرورية إذ لايزالون يستوردون الغذاء الرئيسي لهم وهو الارز من باكستان وهم يعانون نقصاً في كل شيء إلا شيئاً راحداً هو عنجهية الوطنية البنغالية مع أنهم مسلمون ومتى كان الإسلام معترفاً بالوطنية الضيقة؟

ولذلك لا يرى المرء من مظاهر الاحتفال بهذا اليوم اي شيء إلا بعض الانوار الملونة غير القوية على بعض المباني الحكومية وإلا شيئاً واحداً هو مما أزعجنا في هذا الطريق فقد أعلن هذا اليوم السبت يوم عطلة، لذلك انتهز كثير من الناس الفرصة هذه واخذوا يركبون الحافلات العامة لزيارة اقاربهم أو للفرجة أو غير ذلك فكان ذلك مما أزعجنا في الطريق وبعض الحافلات يكون معها مكبر للصوت يذيع الأغاني المسجلة بصوت مرتفع مزعج .

إذاً هذا اليوم يذكرنا نحن المسلمين الحريصين على قوة الإسلام بيوم من أيام نصر الأعداء ويوم من أيام إضعاف المسلمين وليس ذلك مقتصرأً علينا بل كثير من أهل البلاد يعرفون ذلك ولكنهم يذكرون لك مظاهره فإذا سألتهم عن الأرز ارخيص هو؟ أجابوا : إنه رخيص في باكستان والفاكهة؟ إنها رخيصة في باكستان حتى الحجاج سألتهم عن عددهم من بلاد البنغال هذه؟ فأجاب الحاج (محمد ابوالقاسم) إنهم من باكستان كثير . فقلت له يا أخي اسألك عن بلادك فقال هم ستة آلاف ، ولكن باكستان حج منها (٦٧) الفا ونحن أكثر منهم عدداً .

قرية رامو :

القرى هنا حتى الآن في المسافة التي نسير فيها ليست متشابهة كما هي في الهند وذلك لا يعني أن العمارة ليست متصلة بل هي كذلك ولكن التجمعات السكانية ليست متصلة وهذا طبيعي إذ البلاد بلاد زراعية ذات مياه كثيرة . وكان من القرى التي مررنا بها قرية تدعى (رامو) فيها سوق للبيع والشراء حوانيته من الخشب والقش . والفاكهة التي تباع فيه هي الموز وبعض الخضروات ، وأكثر أهلها يمشون وهم حفاة الاقدام ربما كان ذلك بسبب رطوبة أرضهم .

مواصلة التعب :

استمر السير في هذا الطريق المرهق للاعصاب لأن الإنسان يخيل إليه في كل لحظة أنه سيصطدم بسيارة أو دراجة أو يصدم آدمياً أو يدهس طفلاً أو حيواناً صغيراً .

فمررنا بقرية اسمها (دولا هاجارا) فيها سوق على الطريق ريفي للفلاحين الذين رأينا بعض اطفالهم يمشون وهم عراة ويظهر أنها منطقة تعتنى بالابقار إذ رأينا فيها وما حولها اعداداً كثيرة منها ترعى في حقول الأرز الذي قطف حبه .

قرية شرنقا :

وصلنا في الساعة الرابعة والدقيقة الأربعين وكان بعض رفقاءنا من غير المسافرين لم يصلوا العصر مثلنا لأنهم من (كوكس بازار) الذين لايجوز لهم الجمع كما أن صديقنا (مير قاسم) هو الذي يسوق سيارة الرابطة التي نركبها وربما احتاج إلى راحة فأوقفنا السيارة في السوق الكبير للبلدة، وذهب الاخوان إلى المسجد وذهبت أتمشى لوحدي ففوجئت بأن القرية هي سوق البيع والشراء لاغير وليس هناك بيوت أو مساكن أخرى ذلك بأن هذا هو سوق ريفي يقع وسط مناطق المزارعين لذلك يعتبر سوقا لمنطقة كاملة وليس سوقاً في وسط بلدة .

وقد رأيت جميع (دكاكين) هذا السوق مبنية بأعواد (البامبو) والحصير وأكثرها مسقف بالقش وبعضها مسقف بالصفيح ولم أر فيها بناء قوياً جيداً بالأسمنت المسلح إلا مسجدها فقد كان بناؤه جيداً وبجانبه أماكن جيدة للوضؤ .

ورأيت في السوق جانباً من الدكاكين قد اقيمت على اخشاب مغروسة في مجرى ماء آسن ، وجعلت فوقها اخشاب على شكل سقف فوق هذا المجرى وهي في الوقت نفسه أرضية هذا الحانوت ، ورأيت أكثر أهلها حمر الافواه من أكل التنبول وربما كانت هذه الساعة هي ساعة أكله عندهم إذا كان لأكله ساعة معينة والسوق ملئ بالبضائع الخفيفة التي يحتاجها أهل القرى وليس فيه من المصنوعات الثقيلة شيء وهذا أمر طبيعي لأن تلك تكون في المدن .

ومن المنتجات الزراعية فيه الموز الصغير سألت عنه فقالوا: كل اثنتين أي اصبعين من اصابع الموز بتاكا واحد فهم لا يبيعونه بالوزن ومن بين المعروضات فيه حزم من الحطب من أخشاب مكسرة أكثر من كانوا يحملونها من الصبيان يجيئ الواحد منهم بحزمة لا يكاد يحملها فتكاد رجلاه الحافيتان تغوصان في الأرض لولا أن الأرض ليس فيها غبار بل هو الطين الذي لبدته المطر .

وأكثر الأطفال الذين يحضرون الحطب هذا نصفهم الاعلى عار من الثياب وقد رأيت بنية عمرها في حدود العاشرة أو الحادية عشرة معها حزمة من الحطب فسألتها عن الثمن فلم تعرف الانكليزية كما لايعرفها عامة أهل الريف هذا وإنما ترجم لي أحد الرفاق فأجابت أنها تبيعه بستة تاكات أي ريال وربع فقلت لها :

بخمسة فامتنعت ولو باعنتي اياه لاعطيتها ثمنه وتصدقت بالحطب عليها وإنما سألتها لأعرف ثمنه فهي قد حملته من مكان لاشك في أنه ليس قريباً وبقيت تبيعه فترة وأهلها كم عانوا في قطعه من الاخشاب وتكسيره كل ذلك بريال وربع ولكن الريال والربع قد يكون فيها لهم سداد من جوع في شئ يشترونه من الأرز الذي كان رخيصاً عندهم فارتفع ثمنه نسبياً بعد انفصالهم عن باكستان .

وممرنا بعدة قرى لم نقف فيها أو على الأصح بعدة أسواق للقرى لأنهم يجعلون السوق على الطريق الذي لا طريق غيره مبنياً بالاسفلت لسهولة المواصلات ويأتي أهل القرى يحملون بضائعهم على رؤوسهم ويبيعونها ويشترون بثمنها ما يحتاجونه من الاسواق .

والمناظر لا تكاد تختلف خضرة طبيعية ليس فيها أي أثر لمراعاة الجمال بل هي خضرة لم يراع فيها التنسيق وأشجار باسقة مررنا بقليل من أشجار المطاط بينها واحواض للأرز بعضها حديث اخضر وأكثرها قديم قد قطف حبه وبقي قشه في الأرض ترعاه الابقار أو متروكا دون رعي وبعض احواض الارز قد غمرتها المياه ولا أثر لأشجار النارجيل هنا ، والابقار كثيرة كثرة ملفتة للنظر فهي أكثر هنا من الهند ويلبها في الكثرة مما يؤكل الدجاج .

أما الناس فهم أكثر من ذلك بكثير ويراهم المرء على الطريق يحملون اغراضهم ومنها الارز المحصود والأواني على الرؤوس أو على الاكتاف كما كان الإنسان القديم يفعل تماماً من دون تغيير .

سوق دو هازاري :

دو هازاري معناها ألفان فدو: اثنان في الفارسية والاوردية والبنغالية مع اختلاف يسير في اللفظ بين اللغات الثلاث و(هازاري) ألف ، سميت بذلك لأنها كانت محطة للشرطة في عهد الانكليز وقد ارسلوا إليها الفين من الجنود لذلك سميت بهذا الاسم .

وقد ولى عهد الانكليز ولكن التسمية بقيت وبقي معها أن اصبحت سوقاً هاماً من اسواق الفلاحين لم نمر بمثله قبله ولا بعده على كثرة اسواق القرى في هذا الطريق .

وهو حافل بالمعروضات وبخاصة منتجات الفلاحين التي من أهمها هنا الخضروات فهي كثيرة كثرة ملفقة للنظر أكثر منها في الاسواق الأخرى وذلك عائد لطبيعة المنطقة مع العلم بأننا وصلناها ليلاً ولكن السوق على أشد حركته فهو مضاء بالكهرباء وبعض المحلات والمقاهي التي هي في الوقت نفسه مطاعم مضاء بمصابيح الغاز وذلك لمعرفتهم بأن الكهرباء ضعيفة وبأنه يحتمل أن تنقطع وبالفعل انقطعت الكهرباء ونحن فيه ولكن المصابيح الغازية القليلة كانت تبدد الظلام الحالك ، وبعد حوالي خمس دقائق عادت الكهرباء ثم انقطعت ثم عادت .

وقد عرض عليّ الأخ (مير قاسم) أن اشرب معه كأساً من الشاي أو اتعشى في إحدى هذه المقاهي فاعتذرت إليه عن ذلك مع أنني محتاج إليه ولكن مستوى الخدمة والنظافة فيها يمنعي من تناول ذلك .

فقلت له: إنك يمكنك أن تستريح مع بقية الرفاق وأنا سوف اتجول في السوق ولكنه لم يسترح إلى أن يتركني وحدي بدون ترجمة وإلا فهذه البلاد الإسلامية فيها أمن شامل للغريب وغيره وليس فيها من خوف على أحد ولحسن الحظ رأى أحد الرفاق شيخاً في هيئته شاباً في سنه قال له بلغتهم هذا عربي كلمه بالعربية فسلم عليّ وكلمته فوجدته يعرف العربية بالفعل ولكنه يحتاج إلى زيادة تمرين وهو يعرفها جيداً بحيث أنني إذا كلمته بالفصحى وتمهلت في النطق فهم ماأريد فذهب معي في جولة على السوق واستراح مني الرفاق على أكواب من الشاي المخلوط باللبن وهو من إنتاج بلادهم وعلى شئ من الحلوى تكفي مجرد رؤيته ورؤية الصبيان الذي يحضرونه بأيديهم لكي تصد مثلي عن النظر إليه فضلاً عن اكله .

وهذا أمر ليس محموداً مني وأمثالي ولكن الله سبحانه وتعالى قد اعطانا من النعم ما جعلنا نتعود على أن يكون ما نتناوله نظيفاً ومن أيدي نظيفة .

قال الشيخ واسمه شمس الإسلام أو شمس الحق نسيت أيهما الصحيح إنه تعلم العربية في مدرسة إسلامية تبعد من هنا عشرين ميلاً وأنه يعمل الآن في مدرسة تسمى المدرسة الرشيدية تبعد من هذا السوق مسافة عشرة أميال وأن فيها ثلثمائة طالب و ١٥ مدرساً .

وتجولنا في السوق فرأيت أواني من الفخار المحلى الأحمر الجميل اللون فسألت عن ثمن الواحدة فأجاب البائع إنه (تاكّا) واحد فلم اصدق إذ هذا يعني خمس ريال سعودي أي خمس أوانٍ بريال واحد وهو قد أضاع في صنعه من الوقت وبذل فيه من الجهد ما لو كان في بلادنا لاستحق عليه اضعاف ذلك من الأجر خمسين مرة .

ثلاث ساعة في أربع ساعات :

أخذت المسافة بالطائرة من شيئا كونج إلى كوكس بازار من وقتي ثلاث ساعة وأخذت العودة بالسيارة أربع ساعات شاقة وليس ذلك هو للفرق بين سير وسيلتي السير في الحالتين وإنما ذلك أيضاً لواقع الطريق نفسه فالطائرة تذهب رأساً ومسافة ذلك (٥٠) كيلاً والسيارة تلف وتدور ولا طريق آخر مباشر بين البلدين لذلك يسير الطريق (١٦٠) كيلاً إضافة إلى حالة الطريق ، وحالة السير فيه كما قدمت ، مع العلم بأن السيارة التي نركبها وهي سيارة رابطة العالم الإسلامي هي جديدة ومريحة بالنسبة إلى السيارات الأخرى وسائقها الأخ (مير قاسم) يسرع بها مما حملني عدة مرات على أن اطلب منه عدم الاسراع خوفاً من الحوادث ومع ذلك فقد استمتعت بالسير مع هذه الطريق المتعبة أكثر من السير بالطائرة المريحة لأنني رأيت أشياء جديدة من طبيعة هذه المنطقة الريفية من بلاد البنغال المسلمة .

الوصول إلى شيئا كونج :

وصلناها في الساعة الثامنة إلا ربعاً وقصدنا منها الحي القديم فتجولنا في اسواقه دون وقوف وهو سئ الشوارع والطرق حوانيته ليست عامرة بالسلع ثم قصدنا القسم الحديث من المدينة شوارعه واسعة وفيه بعض الميادين المنسقة التي تتوسطها الحشائش والزهور ومعنى اسمها (شيئا كنج) اي : القرى السبع بالبنغالية زارها ابن بطوطة واسمها عنده (شأت قم) .

وكان نزولي في الفندق الأول في هذه المدينة واسمه فندق (اقراباد) وهو من فنادق الدرجة الأولى من حيث البناء والمظهر وإن كان يصدق عليه المثل القديم : (عزيز قوم ذل) فزاره قليل بعد انفصال البنغال عن باكستان وقلة الاعمال فيها .

وأول مشكلاته أن طلب الموظف أن يكون الدفع فيه بالنقود الأجنبية من دولار أو جنيه استرليني فقلت له : لقد صرفت في هذا الصباح نقوداً اعدتها لاصرفها في

(شيتا كونج) وسوف اغادر غداً ظهراً إلى (نيبال) فماذا اصنع بها؟ فقال: هذا لا يعنيني أنا لا أقبل إلا نقداً اجنبياً صعباً فسألته كم الأجر؟ فقال: سبع عشرة جنيهاً استرلينية فاستكثر مرافقي الأخ (مير قاسم) المبلغ ولكنني كنت محتاجاً للراحة وهو مبلغ معتدل بالنسبة إلى مستوى الفندق في المدن الكبرى .

ولذلك ودعت الأخ (مير قاسم) وذهبت فوراً إلى الغرفة فوجدتها غرفة واسعة جيدة وسألت الخادم عن اتجاه القبلة فأجاب: إنها إلى هذه الجهة جهة الغرب .

ثم نزلت إلى المطعم لأنني محتاج إلى شاي نظيف فوجدت المطعم قد أعد على الطراز الأوروبي في كل شيء فاحضروا فرقة موسيقية فيها مغن ثقيل الظل سيء الغناء قبيح الصوت .

وكان العشاء من الكارى واللحم والارز طلبت منهم أن يكون خالياً من الفلفل فجاءوا به ناراً تأجج منه .

وبلغ ثمنه مع الشاي وعصير الأناناس (٥٣) تاكا أي أحد عشر ريالاً سعودياً .

يوم الأحد ١٧ محرم ١٣٩٩هـ - ١٧/١٢/١٩٧٨م

العودة إلى داكا :

فارقت فندق (اقراباد) في مدينة شيتا كونج في الساعة السابعة والرابع من هذا الصباح بعد أن تلاكأ الموظف الموجود في الإدارة في إنجاز معاملتي لأنه كان صغير الوظيفة ولم يكن الموظف المسؤول قد حضر بعد وتعهد الأخ (مير قاسم) أن يمر بي على بعض الأشياء الهامة في مدينة شيتا كونج رغم ضيق الوقت لأتمكن من رؤيتها نهائياً وكان من أهم ما رأيته ذلك الميناء النهرى العظيم الذي اشتهرت به هذه المدينة وفيه عدد من البواخر ومن أهم ما يلفت النظر فيه المصنع الكبير للاسمنت ومعدات نقل المواد الخام من البواخر إلى المصنع ثم نقل الاسمنت بعد ذلك للتصدير إلى اماكن أخرى في البلاد .

ومن الصعوبة العظيمة فيه أن الحجارة التي تحول إلى اسمنت تستورد من الخارج إذ لا توجد في هذه البلاد حجارة صالحة لصنع الاسمنت منها وإنما يستوردونه من بلاد بعيدة وتصور صعوبة استيراد الحجارة ثم هناك صعوبة

أخرى وهي استيراد الوقود وهو الفحم الحجري الذي يستورد من الهند وقد رأينا أكواماً منه لهذا الغرض .

وفي الساعة الثامنة والربع صباحاً اقلعت الطائرة الصغيرة إلى داکا وهي من نوع الطائرتين اللتين ركبتهما أمس إن لم تكن إحداهما فهي تتسع لاربعين راكباً وكان فيها في هذه المرة مضيضة ومضيف خلاف المرتين السابقتين إذ المضيفان كانا من الرجال .

وعندما اقلعت من المطار أعلن المكبر أن الطيران سيكون (٣٨) دقيقة وكان منظر مياه النهر العظيم التي جعلت من ميناء شيتا كونج ميناء عميقاً تختلط بمياه البحر الزرقاء في مساحات كبيرة بعدها رأينا المستنقعات والمياه الكثيرة في الأرض وهي المناظر المعتادة في هذه البلاد .

والحقيقة أن المرء يمكن أن يقول عندما يرى بلاد البنغال هذه من الطائرة ومن السيارة أن بين كل نهر ونهر نهراً وبين كل نهر ونهر مجرى ، وبين كل مجرى ومجرى مستنقع وبين كل مستنقع ومستنقع حفرة مليئة بالمياه وبين ذلك كله خضرة شاملة ، وبين الخضرة فقر وتخلف ولكنها دون فقر الهندوكيين الفلاحين القرويين في الهند ودون تخلفهم .

في داکا :

وفي مطار داکا كانت سيارة السفارة تنتظري فنقلتنني إلى منزل الدكتور مستفيض الرحمن في جامعة داکا لأنه استاذ فيها فوجدته قد اجتمع لديه عدد من الاخوان والدعاة ومشجعي الدعوة والمتقنين ذوي الاتجاه الإسلامي ومنهم اساتذة في الجامعات وصحفيون وعلماء من علماء الدين .

وقد استمرت الجلسة معهم فترة طويلة من الوقت كان مدار الحديث فيها الأمور التي تشغل بال الجميع هنا وعلى رأسها مكافحة التنصير الذي استغل حاجة المسلمين وذلك بحث المسلمين القادرين في البلدان الإسلامية على مساعدة اخوانهم وجمع الأموال لذلك من عامة المسلمين .

وكان من بين الحاضرين: الاستاذ هلال الدين مدير المركز الإسلامي في بنجلاديش وكان استاذاً في كلية قائد اعظم في دكا.

بدر عالم بن محمد حنيف مهندس زراعي في شركة زراعة وهو الأمين العام للمركز الإسلامي في دكا والأمين العام لجمعية التبليغ الإسلامي.

مولانا احمد الله بن مولانا عبدالمجيد انصاري ناظم التنظيم لبعثة المساجد.

السيد أبو الحسين الباناغاري رئيس جمعية التبليغ الإسلامي وكان هندوكيا من البراهمة صنف عدة كتب في الإسلام وكتاباً عنوانه «لماذا لم أقبل النصرانية وقبلت الإسلام؟» ويعمل مرشداً للهندوكيين والبوذيين المؤلفة قلوبهم.

السيد محمد يونس الأمين العام لدار الطباعة الإسلامية

السيد نور الحق مدير فرع الاسعاف في البعثة الإسلامية

السيد محمد أبو جعفر امام في مسجد جامع

وفي الساعة الحادية عشرة والربع قبل الظهر كنت راجعاً إلى مطار دكا للسفر منه إلى كتمندو عاصمة مملكة نيبال وكان الأخ الدكتور مستفيض الرحمن جزاء الله خيراً معي فأعلم مكتب الشركة البنغالية المسماة (بيمان) وهي التي سأسافر معها إلى نيبال ولم اطلب منه ذلك ولم اكن أرغب فيه لأنني لست بحاجة إليه فحضر أحد موظفي الشركة وقدمنى في إنجاز الركوب على صف من المنتظرين الأوروبيين.

وهذا ألني كثيراً إذ ماذا يضيرني إذا انتظرت حتى يأتي دوري وماذا ينفعني إذا قدمت على غيري؟ إلا أن اشعر بأنني قد أسأت إلى إسلامي بجعلي غير المسلمين من الأوروبيين وغيرهم يأخذون فكرة عن المسلمين بأنهم لا يحبون العدل والانصاف الذي يقضى بأن يكون من يحضر قبل غيره له حق التقديم على من جاء بعده.

ثم ذهب الموظف معي حتى جاوزت الذي يأخذ رسوم المغادرة فأفهمه بأن جوازي سياسي وكنت استطيع أن افعل ذلك بنفسني ثم الححت عليه وعلى الدكتور مستفيض الرحمن بأن يعودا ويتركانني وشأنني.

ودخلت إلى موظف الجمرك ولكن موظفاً صغيراً رأى جوازي فأظهر العجب منه والإعجاب به وأخذ يذهب إلى الموظفين ويقول هذا عربي من السعودية فيتركون الذين بين أيديهم من المسافرين وينجزون معاملتي قبلهم وقد صحبني من الجمرك إلى موظف الصحة الذي يفحص البطاقات الصحية الصفراء للمسافرين المغادرين على خلاف العادة وحاولت أن ارد هذا الموظف ولكنه لم يتركني إلا في قاعة المسافرين في المطار وطلب مني آخر الأمر أن أعمل شيئاً لجعله يذهب إلى البلاد العربية فاعتذرت إليه بأنني لا أستطيع ذلك .

هذا وقد لاحظت أن العربي في هذه البلاد الهندية يعظمونه ويكبرونه لأمرين أحدهما ماله يرجون منه نوالاً أو لمجرد تعظيم ذي المال والثاني: دينه أو على الأصح افتراض أن يكون متديناً متمسكاً بالإسلام أكثر منهم ، ولما قلت لأحد علمائهم : أرجو أن نكون عند حسن ظنهم بنا في التمسك بالدين قال: يكفي أن تكونوا في جوار الحبيب ، فقلت له: شكراً ولكن هذا لا يكفي لأن المكان لا يقدر أحداً وإنما يفيد الإنسان عمله وما كسبت يده .

وقامت الطائرة البنغالية في الساعة الواحدة إلا ربعاً ظهراً بتوقيت دكا المتقدم ثلاث ساعات عن توقيت المملكة قاصدة (كتمندو) عاصمة مملكة نيبال وللمقال عن مملكة نيبال مقام في كتاب آخر أسميته «نيبال بلاد الجبال» .



المحتويات

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٥
مرور بالهند	
من كولومبو إلى مدراس	١٠
في مطار مدراس	١١
في مدينة مدراس	١٣
محاولة الحجز	١٤
العودة إلى المطار	١٧
من مدراس إلى كلكتا	١٨
هل أنا نباتي؟	١٩
في مطار كلكتا	٢٠
مدينة كلكتا	٢٢
جولة في كلكتا	٢٦
الجن في كلكتا	٢٧
جولة أخرى	٣٢
المرأة في الشارع	٣٣
الرقص الهندي	٣٤
مغادرة كلكتا	٣٦
إلى بنجلاديش	
مقدمة مختصرة	٤٣
خلفية تاريخية	٤٣
ملوك بنغاله	٤٤
من كلكتا إلى داکا	٤٧
مطار داکا	٤٩

٥٢ في السفارة السعودية
٥٤ مع رئيس جمعية المساجد
٥٥ جولة في مدينة داكا
٦٠ المرأة في داكا
٦١ اللباس
٦١ في بعثة المساجد
٦٣ في مسرح الأماسة
٦٥ قرية كتوبارا
٦٨ الحي العجيب
٧٥ ولكن أين المسلمون ؟
٧٨ بيت المكرم
٨٠ شيء لا يلىق
٨١ في مطعم شعبي
٨٣ وهذا المساء
٨٣ إلى شيتا كونج
٨٤ في مطار شيتا كونج
٨٥ إلى كوكس بازار
٨٨ معسكر دوها وابلان
٩٢ الأسباب وراء نزوح البورماويين
٩٤ تعليق
٩٥ العودة إلى كوكس بازار
٩٦ مدرسة البنات
٩٦ المدرسة الهاشمية
٩٧ العودة إلى شيتا كونج
٩٩ يوم النصر

١٠٠ قرية رامو
١٠٠ مواصلة التعب
١٠١ قرية شرنقا
١٠٢ سوق دوهازاري
١٠٤ ثلث ساعة في اربع ساعات
١٠٤ الوصول إلى شيتا كونج
١٠٥ العودة إلى داكا
١٠٦ في داكا



مطابع المزدق التجارية - الرياض
تلفون : ٤٨٢٤٨٦٥ - ٤٨٢٤٩٨٣